الحياة الأخرى



عبد الرزاق نوفل

الحياة الأخرى

بقلم

عبد الرزاق نوفل

الطبعة الأولى

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد
القاهرة

المطبعة الفنية الحديثة
٢٠ شارع الأصبغ بالزيتون ت ٨٦٤٨٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ » .

« صدق الله العظيم »

إهــــداء

إلى من تعيش هناك . . بعيداً . . بعيداً جداً . . فى صحبة الأطهار .

إلى أعز من كانت لى . . فارتحلت لتحيا . . هناك . . بعيداً . . بعيداً جداً . . مع الأبرار .

إلى من عاشت وكنت جزءاً منهــا . . ثم ماتت وهى أغلى الجزء منى .

إلى روح أمى . .

صلاة . . ودعاء . .

المقدمة

« رَبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلنَا وَإلَيكَ أَنَبنَا وَإلَيكَ المَصِيرُ »

« صدق الله العظيم »

من الحقائق التى لا تحتاج إلى جدل لتأكيدها أن الإنسان لا يهاب شيئاً فى حياته قدر ما يهاب الموت . . وأن الناس لا يبغضون لفظة قدر بغضهم للفظ الموت . . ولا يتفق البشر أينما كانوا فى شىء إلا فى خشيتهم الموت . . فياترى لماذا يهاب الإنسان الموت ويخشاه ؟ . . ولماذا يكره لفظه ويتحاشاه ؟ . .

هل لأن الموت يعتبر لكل إنسان شيئاً جديداً ؟.. فلذلك يخشاه كلا .. فقد اتفقت الآراء على أن لكل جديد لذة إلا جديد الموت .. فهو غير لذيذ . . وإن الإنسان دائماً يبحث عن الجديد . . أى جديد إلا جديد الموت . . ! !

هل لأن الموت إنما هو من قبيل المجهول .. ؟ .. بل هو المجهول ذاته إذ أن كل من مر به . . لم يعرف غيره عنه شيئاً . . فهو الشىء الذى

لا يمكن لمن مارسه أن يفصح عنه .. ولعل ذلك حتى يبقى سره مجهولا غير مفهوم . . وأمره خافياً غير معلوم . . ! !

هل لأن الإنسان يربط بين الموت وبين القبر الذى يرى أن الميت يودع فيه . . فالموت إذن يتمثل عنده فى الوحدة القاسية . . والظلام الرهيب . . والحفرة الضيقة . . والدفن العميق .. !!

هل لأن الإنسان يحب الحياة .. مهما يكن منها . . وعلى أى حال كان فيها . . وهو يرى فى الموت النهاية لهذه الحياة . . فهو هو . . حيث كان وحيث لا يكون الموت . . فإذا جاء الموت . . كان الموت .. ولم يكن هو . . ؟ !

هل لأن الإنسان وهو يحب ما عنده من ولد وحبيب . . وصديق وقريب . . يرى فى الموت الفرقة التامة عن كل من يحب . . وأنه الفراق الذى ليس بعده من تلاق .. ! !

أم لأن الإنسان يربط بين الموت وبين ما قد يلاقيه المريض من آلام وأوجاع ؟ . . فإذا كانت هذه هى شدة المرض قبل الموت . . فكيف بالموت ذاته .. لاسيما وقد ترددت الأقوال الكثيرة التى تصف كرب الموت وعذابه . . وشدته وأوجاعه . . ! !

وسلسلة طويلة من الأسئلة . . كلها تصلح لأن تكون أسباباً يستند إليها الإنسان فى تبرير خشيته من الموت وبغضه للفظ الموت ..!!

وقد طافت برأسى كل هذه الأسباب .. كما تطوف بكل رأس .. وعصفت بنفسى كل هذه الأفكار . . كما تعصف بكل نفس . . غير أنها طافت برأسى وعصفت بنفسى فى وقت مبكر . . إذ كنت زمانهـــا ما زلت شاباً صغيراً . . ووقعت عينى مصادفة على كتيب صغـــير عن الموت . . ما أن قرأته حتى تمثلت الأهوال التى وصفها .. وخشيت الكروب التى شرحها .. وأفزعتنى الأوصاف التى صورها ..!؟

وكان لابد من عودة طويلة إلى البحث فى هذا الأمر . . الذى طالما أنه لا مفر لكل إنسان منه .. فلا محالة أن يعرف عنه .. ويستعد له .. فجلست بين يدى كتاب الله .. ملتمساً النور من آياته . ورجعت إلى ما تمكنت من الوصول إليه مما كتبه السلف والخلف من أحاديث وتاريخ وشروح وتفاسير .. ودرست بعض ما وصل إليه العلم الحديث فى أبحاثه عما وراء الموت مافوق الطبيعة ومابعد الحياة وما فوق الإدراك .. وارتاحت نفسى واطمأنت إلى الآراء العلمية التى وصل إليها العلم عن طريق الدراسات العملية والتجارب المعملية والتى يؤيدها

القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وتطابق آراء الثقاة من علماء المسلمين وأئمة المتصوفين .

وكانت نتيجة هذه الدراسات التي استمرت أكثر من ثلاثين عاماً أوراقاً متناثرة .. وأفكاراً مبعثرة ..!!

وماتت أمي .. وهي أعز ما تكون للإنسان في الحياة .. فمن لي وقد عشت وحيداً معها . . وكيف بي وقد علمتني وهذبتني وأرشدتني وصاحبتني في الدنيا معروفاً ..!!

وفي غمرة الحزن الدفين والألم العميق .. رجعت إلى أوراقي المتناثرة وأفكاري المبعثرة فوجدت تباشير العزاء .. إن الموت ليس كما كنت أظن أو يظن الناس ..!!

ونقلت الرأي إلى غيري .. وكلما استمع إليه نفر وجدت التبدل في في أفكارهم سريعاً .. والعزاء إلى نفوسهم واضحاً .. ! !

لذلك فقد رأيت أن أعرض هذه الآراء على قارئي العزيز . . أمانة عليّ يجب أن أؤديها إليه . . فإذا طابت بها نفسه . . فهذا

ما رغبت فيه . . وإن أراد فزاد البحث وتابع الدرس حتى يصل إلى ما يطمئنه فهذا ما رجوت . .

والله ولى التوفيق .

« رَبَّنَا أَتْمِم لَنَا نُورَنَا وَاغفِر لَنَا إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ » .

« صدق الله العظيم »

عبد الرزاق نوفل

الإنسان ... بين جزأيه

الجسد .. والروح

أوحى الله سبحانه وتعالى إلى الإنسان بحقائق أكيدة وقاطعة تتصل بالأمور الأساسية التى تمس وجوده فى هذه الحياة .. بل وتختص به فيما بعد هذه الحياة . . فأوحى إليه جل شأنه بأن لهذا الوجود رباً ارتفعت السماوات بأمره ودار الكون بإرادته .. وقام الوجود بمشيئته وأنه سبحانه هو الخالق الوحيد .. وأنه الفعال لما يريد .. أجل الإنسان قدر ما شاء سبحانه . . ورزقه كيفما أراد جل شأنه . . لذلك نجد أنه حتى الطفل الصغير الذى لم يتعلم بعد شيئاً ولم يتضح إدراكه ليعرف حتى ما يفيده مما يضر به . . نجده يؤمن بالله إيماناً خالصاً وقبل أن يتردد أمامه اسم الله ليتأكد فى ذهنه نجده ينادى عليه . . وكذلك نجد أن تلك القبائل التى تعيش فى مجاهل الفكر ومتاهات الجهالة تعرف تماماً وتتأكد يقيناً أن لهذا الكون رباً .. وأنها إن اتخذت من النار أو من الشمس أو من أى مصدر من مصادر القوة شيئاً تراه معبوداً لها فإنما لأنها تؤمن بأن الله هو القوى والقادر وأن الشمس أو النار وهى أقوى ما تعتقده إنما قد تكون مظهراً من مظاهر قدرة الله وصورة من صور قوته . . وأنها تعبد فيها الدليل على وجود الله . . وتقدس فيها الطريق الذى يقودها إلى معرفة الله .

وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى الإنسان بالمعرفة التى تجعله يميز طريق الخير .. ويعرف طريق الشر .. وأن الخير الذى يعرفه الإنسان

تماماً هو الطريق الذى يقربه إلى الله .. وأن الشر الذى يعلمه الإنسان يقيناً هو الطريق الذى يبعده عن الله . . ولذلك نجد أن الإنسان دائماً يحاول أن يبحث عما يقربه إلى الله ودائماً يناقش كل ما يفعل ليطمئن على أن ليس فيه ما يغضب الله .. حتى الإنسان العاصى مهما يكن قدر عصيانه نجده يندم ويتأسف إن لم يكن بعد الخطيئة مباشرة.. فى يوم ما قرُب اليوم أو بعُد لابد أن يستشعر الندم ويبحث عن طريق التحرر من ذنب ما اقترف ومن عقاب ما ارتـكب .. ولهذا أنزل الله سبحانه وتعالى الأديان لبنى الإنسان وحياً منه سبحانه وتعالى لبعض عباده الذين اصطفاهم لإعلان هذه الأديان والدعوة لها ونشر ما أراده الله منها .

وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى الإنسان بالعلم . . بالمعرفة . . باليقين .. ولذلك نجد أن كل إنسان إنما يحس بأنه ينبع من داخله . . من حيث لا يدرى . . بعض المعرفة . . بعض العلم . . بعض اليقين ومهما يكن هذا القدر ضئيلا فإنه . . يخص الإنسان نفسه . . فلم يكتسبه من غيره . . ولم ينقله . . من مصدر غير نفسه . .

ولقـد حاول الفلاسفة منذ قديم الزمان بحث موضوع العلم والأسباب والطرق التى تجعل العلم يصبح يقيناً . . وكيف ينشأ العـلم عند الإنسان أو لا ثم ينميه .. وبعد الأزمان الطويلة والمساجلات العديدة

والأبحاث الكثيرة والمناقضات الكبيرة وصل العلم إلى حقيقة قاطعة تقرر أن الإنسان إنما يلتمس الحقيقة عن طريق أسمى من الفكر نفسه وما ذلك إلا بالاعتقاد أننا متصلون اتصالا مباشراً بمنبع الحقيقة الأبدية بالذات الإلهية نفسها ولذلك فإن مذهب أفلوطين الفلسفى مثلا يقول إن الله متحد بنا اتحاداً باطنياً ولسنا منفصلين عنه فى الحقيقة . . وأما عن معرفة الإنسان للحقيقة واليقين فإنه يوجد فوق التأمل العقلى الذى يشعرنا بوجودنا وبتميزنا حدس آخر هو الحدس بالواحد وهو مايعرف باسم الوجد الذى يرفعنا فوق كل تفكير محدود ويجعلنا نتحد بالله وأن هذا الوجد هو الطريق الوحيد إلى اليقين وكل ما يمكننا فعله لمعرفته هو أن نتهيأ له إذ أن اليقين منة للنفوس المصطفاة ولطف يأتى من أعلى .

وفى ذلك تتفق كل الآراء الفلسفية والعلمية التجريبية فى كل زمان وكل مكان لتقرر الحقيقة التى لا تقبل الجدل بعد وهى أن الله سبحانه وتعالى إنما يوحى للإنسان بالحقائق الأساسية الهامة فى حياته وإنها الأساس للعلم واليقين .. وقد يوجد بعض الأفراد فى بعض الأزمنة ينكرون هذه الحقائق ولكن لبعض الوقت وما تلك الأفكار منهم إلا لأن الستر الكثيفة المادية المظلمة التى ينسجونها على قلوبهم

قد تحجب عن بصيرتهم هذه الأنوار فيفتقدونها لفترة ما .. فنجد نفراً يكفرون بالله وآثاره جلية واضحة وآياته بينة ظاهرة .. وهؤلاء لو أنكروا صحة مايوحى إليهم داخل نفوسهم . . فإن ذلك لا يشكل أى خطر على مبدأ معرفة الحقيقة .. فإنهم قلة لا تبلغ حد الذكر وفى كل لحظة يتناقص عددهم إذ ما أكثر الأدلة التى تتوالى لتؤيد ماأوحى الله به للإنسان وماأوضح البينات التى تظهر تباعاً لتؤكد هذه الحقائق بل نجد أن لكل جيل أدلته . . ولكل زمان حجته . . وقد أصبحنا الآن فى زمان اجتمعت للإنسان فيه الأدلة الدينية والعقلية والفلسفية والمنطقية والعلمية التى تجعله يطمئن لما يعتنق . . وإذا ناقش بها غيره فلا بد أن يقتنع .

ولقد أوحى الله سبحانه وتعالى للإنسان — ضمن ما أوحى — أنه قد خلقه من جزأين .. الجسد الذى يراه .. والروح التى لا يراها .. وأوحى إليه بأن يؤمن بالجزء الذى لا يراه .. أكثر من إيمانه بالجزء الذى يراه .. وعلمه علم اليقين أن حياته ووجوده إنما يتوقف على وجود الجزء الذى لا يراه .. فكثيراً ما رأى جسداً يسقط بلا حياة .. وإذا بحث وجد أنه لا تغيير إطلاقاً حدث فيه .. وإنما هذا الجزء الذى لا يراه..قدغادره .. وبذلك أصبح الجزء الذى يراه..هكذا بلا حراك ..

أى بلا حياة . . أى أن الجزء الذى لا يراه . . هو الأصل . . وهو الوجود . . فبه كان الجزء الآخر . . وبدونه .. لم يكن .

ولعل اهتمام الإنسان بدراسة نفسه أو روحه ومحاولة الوقوف على سرها . . وإيجاد البراهين والأدلة على وجودها قد بدأت ببداية الإنسان نفسه . . فإذا رجعنا إلى الإنسان القديم الذى يمكن أن نتابع آثاره فى أول صفحة من صفحات التاريخ يمكن الرجوع إليها وجدنا قدماء المصريين قد سطروا على آثارهم ما يفيد إعتقادهم بأن الإنسان إنما يتكون من جسد وروح ففى تاريخ الحضارة المصرية يقول العالم الأثرى المرحوم الدكتور سليم حسن أن المصرى القديم كان يعتقد أن قوة إلهية كانت تسكن الشىء الحى كما كانت تسكن الجماد وذلك على غرار أن الروح تسكن جسد الإنسان ، وأن الفراعنة كانوا يطلقون على المتوفى بعد الموت (با) وهى المرادفة لكلمة روح . غير أن البا فى اعتقادهم لم تكن جزءاً من شخص حى بل الشخص بأكمله بعد الموت ، وكلمة با تعنى الحياة أو مظهرها وقد تخيلها المصريون القدماء على شكل إنسان برأس طائر وأحياناً يكون لها ذراعان عندما تدعو الحاجة إلى ذلك كالشرب من بركة الماء التى توجد بجوار القبر وكان اعتقادهم أن شخصية الإنسان الكاملة بعد الموت كانت تتألف من

البا والجسم ولذلك كثيراً ما نجد على التماثيل صوراً نرى فيها البا تحوم حول الجسم أو تطير إلى داخل القبر لتنضم إلى الجسم ومن ثم نجد كثيراً فى أقوالهم الدعاء الذى نصه (ليت با المتوفى لا تنفصل عن جسمه أبدياً) .

واستمر الإنسان يفكر فى أمر هذه النفس أو الروح . . وقد تعاقبت الأجيال ومرت الأزمان . . ولكل جيل طريقته فى البحث ولكل زمان وسائله فى الدراسة . . ولكن كلها تلتقى فى الهدف . . البحث والدراسة فى موضوع الروح حتى الفلسفة القديمة جداً نجد أن موضوع الإنسان بجزأيه هو أهم ما تعرضت له فيقول كتاب مشكلات ما بعد الطبيعة لبول جانيه وجبريل سياى (ظهرت التفرقة بين النفس والجسم للإنسان البدائى كنتيجة لتجربة الموت . فالإنسان يحيا ثم يموت فيصبح جسده على الرغم من احتفاظه بشكله الخارجى بلا حراك ويفقد إحساسه ، ولم تعن فكرة النفس فى البدء شيئاً أكثر من الأفكار التى يمكن استخلاصها استخلاصاً مباشراً من تلك التجربة ، فالنفس شىء شبيه بالنفس والهواء ، وهى جسم لطيف غالباً ما نتصوره على غرار الأشباح التى تتراءى لنا فى أحلامنا . فالنفس فى رأى هو ميروس كصورة تقدم لنا نسخة أخرى من الجسد

وتعيد تأليف هيئته من جديد ، وعند الموت تهرب من الجسد عن طريق الفم أو عن طريق جرح مفتوح وإذ ذاك عندما تنفصل عن الجسد تصبح شبحاً بلا قوة ولا شعور ولا ذاكرة) ثم نجد سقراط يقرر وجود الروح والجسم بل ويؤكد وجود الروح قبل الجسم ويثير فى ذلك أدلة منها (إنك تستطيع أن تستنتج من الجاهل بعض النتائج الرياضية الصحيحة بأن ترسم له شكلا هندسياً وتأخذ فى سؤاله فيجيبك بالعلم الصحيح ولا يكون ذلك إلا أن يكون العلم الرياضى كامناً فى الروح ، والبرهان الثانى ما للروح من مقدرة على ترابط المعانى أى استثارة بعضها ببعض فترى سمياس مثلا فيذكرك ذلك بسبيس أو ترى صورة سمياس فتذكر بذلك سمياس نفسه ، كذلك قد ترى القيثارة فتذكرك بالعازف عليها ، وقد ترى القطع المتساوية من الخشب أو الحجر فيستدعى ذلك فى نفسك فكرة سامية هى فكرة المساواة المطلقة ، وجدير بنا فى هذا الموضع أن نلاحظ أن الأشياء المادية المتساوية لا يبلغ تساويها مبلغ فكرة المساواة المطلقة التى نقارن بها تلك الأشياء ونتخذها مقياساً لها ، ولما كان المقياس لا بد أن يكون سابقاً للشىء المقيس وجب أن تكون فكرة المساواة أسبق من المتساويات المادية. وإذا كانت سابقة لها فهى كذلك أسبق من الحواس

التى أدركتها وإذن فقد أوتيناها قبل الميلاد أو ساعة الميلاد نفسها ولكن الناس جميعاً لا يعرفون شيئاً إلا إذا استذكروه فمتى انسوا العلم إن كانوا قد أوتوه ساعة الميلاد ؟ هل يعقل أن يوهبوه ويسلبوه فى لحظة بعينها ؟ . . وإذن فلم يبق إلا أن يكون العلم مفطوراً فى الروح قبل الميلاد أى قبل حلولها بالجسد ، وهذا دليل على وجود الروح قبل اتصالها بالجسد وأنها كانت حينئذ على شىء من الذكاء والإدراك) . .

ثم جاء أرسطو ليقول (إن الإنسان طرفان النفس والجسد ، وهذان الطرفان يفترض وجود كل منهما وجود الآخر ويستلزمه والنفس فى جسدها ليست كما لو كانت فى مسكن بوسعها أن تتركه إلى غيره إذ أنها لا تستطيع الانتقال من جسد إلى آخر ولا تستطيع الإقامة إلا فى الجسد الذى يستجيب لماهيتها والتى هى خالقة له وأن هناك ثلاثة أنواع للنفوس تتمشى مع صور الحياة الثلاث فى الطبيعة وهى النفس النباتية والنفس الحيوانية والنفس الإنسانية . ونفس النبات نفس غاذية وظيفتها التغذية والإكثار ونفس الحيوان نفس حاسة وينشأ عن الإحساس الشهوة وعن الشهوة الحركة أما النفس الإنسانية فتتميز بوجود العقل فيها . وللنفس النباتية وجودها المستقل وحياتها الخاصة بها ولكنها تختلط فى الحيوان مع النفس الحاسة أما النفس

العاقلة فتشتمل على النوعين السافلين السابقين وتركز وظائفها فى حياتها العليا) .

ثم نجد فى العصور بعد ذلك فلسفات تقول (أن الجنين حاصل من وقت أن تدب الحياة فيه على نفس خاصة . وإن كانت لا تتعدى كونها نفساً نباتية وتتلاشى هذه النفس لـكى يحل محلها نفس أخرى نباتية وحاسة فى نفس الآن . وأخيراً تخلى هذه الأخيرة بدورها الطريق إلى نفس عاقلة تضم النوعين الأولين . وهنا فقط يتحول الجنين من جنين حيوان إلى جنين إنسان ، وعلى هذا فالنفس الإنسانية صورة مجردة عن المادة وهى كمال الجسد وهى جوهر واحدومبدأ منظم للجسد . والنفس عبارة عن النفس الحاسة والمحركة والعاقلة . والنفوس النباتية والحاسة توجد فى الجنين قبل ظهور النفس العاقلةوهذهالأخيرة من خلق الله مباشرة . فتأتى من خارج فتختلط بالنفسين الأخيرتين اختلاطاً قوياً بحيث تحتويهما) .

والدراسات الفلسفية الحديثة قد أفردت لتأكيد وجود النفس والأدلة على أنها تغاير الجسم الجزء الأكبر من دراساتها وكل الدراسات والأبحاث التى قام على أساسها علم النفس الحديث إنما تبدأ من الحقيقة التى لا تقبل الشك أو الجدل وهى أن الإنسان إنما يتكون

من جزأين هما الجسد والروح .. وأن الروح هى الجزء الأهم ، فمثلا يقول كتاب (الطبيعة وما بعد الطبيعة) فى سلسلة مكتبة الدراسات الفلسفية (إذا كان لكل ظاهرة جوهر ولكل فعل فاعل فإن فى كل كائن حى نفساً هى مصدر حياته وأفعاله . والنفس الإنسانية تهمنا على الخصوص لكونها أرفع أنواع النفوس بل لكونها نفسنا والدليل على وجودها أن الحياة لا تصدق على الجسم بما هو جسم وإلا كان كل جسم حياً أو مبدأ للحياة فلابد فى الحى من مبدأ لا يكون جسما بل صورة لجسم تمنحه الحياة والفعل والحقيقة أننا فى كل فعل من أفعالنا وكل حالة من حالاتنا ندرك وجود ذاتنا إدراكاً مباشراً وندرك أن الفعل فعلنا والحالة حالتنا وكيف يتصور إحساس أو تعقل أو تداع للصور دون جوهر يحس ويفكر ؟ فوجود الجوهر هو وحده يفسر حدوث أفعالنا وحالاتنا وهو وحده يفسر من باب أولى ما يستمر منها فى الزمان أو يعود من آن إلى آن كالذكريات والعادات والإدراكات المكتسبة والتداعيات والأحكام والاستدلالات . وشهادة الوجدان صريحة بأن عين الأنا هو الذى يحيا ويحس ويفكر فإننا نضيف إليه جميع هذه الأفعال ويشعر كل منا أنه يظل هو طول عمره . فللإنسان وجود واحد نشعر به وباستمراره تحت التغييرات ،

فنربط حاضرنا بماضينا ونتطلع إلى المستقبل على أنه مستقبلنا . ومحال أن يكون الجسد علة هذا الوجود الواحد بما فيه من تضافر متصل ونمو متسق مما يدل على وجود مبدأ باطن يدبر ويوجه والجسد ممتد منقسم متكثر متغير متجدد باستمرار ومحتاج من ثمة إلى ما يرده شيئاً واحداً ويستبقى له وحدته . ولأجل تفسير وحدة الكائن الحى واستمراره هو هو يجب أن يكون حاصلا على نفس وأن تكون النفس بسيطة منزهة عن كل تركيب من أجزاء متمايزة ، ولتفسير التفكير يجب القول ببساطة النفس أيضاً فإنه لا يتسنى إلا لجوهر بسيط قادر على أن ينعكس على ذاته ويجمع فى فعل واحد جميع عناصر الإدراك ، سواء كان الإدراك إحساساً أو فكراً مجرداً أو نسبة . وليس فى الإنسان سوى شخصية واحدة هى مظهر لنفس واحدة فالإنسان مركب من جوهر روحى وآخر جسمى يؤلفان منه موجوداً واحداً لا كلا مجموعياً يتجاور فيه الجوهران ويتفاعلا من خارج وليس هذا الاتحاد عرضياً كالذى بين جوهرين تامين ولكنه جوهرى حاصل بين جوهرين ناقصين كل منهما مفتقر للآخر متمم له : من النفس يقبل الجسم تركيبه ووحدته وحياته وسائر ما يجعل منه جسما إنسانياً والنفس موجودة كلها فى الجسم كله وليس لها مقدار لا بالذات

ولا بالعرض ولـكنها موجودة فى كل جزء من أجزاء الجسم بقوة خاصة بالجزء كقوة الإبصار فى العين مثلا . فليس الإنسان إذن جوهراً روحياً محضاً يستخدم الجسم من خارج ولـكنه طبيعة خاصة قوامها نفس معدة بالطبع للاتحاد بجسم اتحاداً جوهرياً لمزاولة وظائفها بحيث يكون الجسم تـكملة ضرورية لها لا قيداً أو عائقاً) .

وباتساع آفاق الفـكر الحديث وبتعدد وسائل الأبحاث العلمية وارتياد الإنسان ميادين للعلم لم يكن قد وصل إليها تمـكن الإنسان من إرساء قواعد البحث على أسس جديدة وظهرت قطاعات جديدة فى العلم واتجه الإنسان فى كافة هذه القطاعات إلى دراسة النفس ومحاولة الوقوف على ما يستطيعه من معلومات عن الروح ولم تعد مثل هذه الأبحاث مقصورة كما كانت فى العصور السابقة على الدراسات الفلسفية بل تعدتها إلى كافة فروع العلم تقريباً بل أفرد الإنسان لها بحوثاً خاصة ودراسات محددة . . بل ومعاهد ومعامل .. وقرر لهذه الدراسات شهادات خاصة ..فنجد علماء الطبيعة يبحثون فى النفس الإنسانية ويدرسون الروح ويخرجون للإنسان الأدلة من هذا العلم على وجود الروح فيقول العالم الـكبير كاميل فلامريون (إن الإرادة الإنسانية وحدها تـكفى لإثبات وجود الروح . فأنا الآن جالس على كرسى

ويدى موضوعتان على ركبتى . فقد ألعب بأصابع يدى اليسرى فأرفع واحداً بعد آخر بيدى اليمنى فتسقط بعد رفعها ولـكنى لو أردت أن لا تسقط بقيت مرتفعة . فما هو ذلك الشىء الذى يؤثر على عضلاتها ؟ الجواب هين هو إرادتى . هذه الإرادة آخر ما يقال عنها إنها فـكرة وهذه الفـكرة تؤثر على المادة . إذ أن سببها الأول ليس فى المخ لأن ذبذباته ليست إلا معلومات لا عللا . فلننظر الآن من الإنسان إلى قوته المفـكرة على الخصوص فإنها الدليل المستمر على وجود الروح . فإذا تأملنا تأملا أو قلنا فى أنفسنا (أنا أفـكر) أو (أنا أريد) وإذا حاولنا حل مسألة أو إذا استخدمنا قوتنا فى التجريد أو التعميم فإننا بهذه الأعمال كلها نثبت فينا وجود الروح . فالفـكر هو أثمن ما يملـكه الإنسان وهو أشد الأشياء تميزاً بشخصيته وأكثرها استقلالا عن غيره ، فحريته لا يمكن العدوان عليها فإنك تستطيع أن تعذب الجسد وأن تقتاده بالقوة المادية ولـكنك لا تستطيع أن تعمل شيئاً ضد القوة الفـكرية ، فـكل ما تعمله أو تقوله لا يؤثر عليها . فهى تهزأ بكل شىء وتحتقر كل شىء . فإذا لعبت دوراً هزلياً أو حملها النفاق العلمى أو الدينى على الـكذب أو ألبسها الطمع السياسى أو التجارى وجهاً مستعاراً خداعاً بقيت على ما كانت عليه فى جانب كل شىء وضد كل

شيء ملمة بما تريد أليس هذا كله شهادة واقعية على وجود الكائن النفسانى مستقلا عن المخ ؟ وكذلك إن استنشاق أبخرة الإثير أو الكلوروفورم يبطل الحس العام بحيث يمكن أن تخضع الأشخاص الذين يقعون فى تلك الحالة الفيزيولوجية العجيبة لتحمل الأعمال الجراحية الخطيرة دون أن يشعروا بها . والأشخاص الواقعون تحت تأثير الإثير أو الكلوروفورم لا تقتصر حالتهم على عدم الشعور بألم بينما تمزق الآلات أنسجة أجسادهم وتقطعها وتعذبها ولا على بقائهم غير شاعرين بجروحهم وقروحهم التى لو حدثت لهم وهم فى حالة يقظة لحملتهم على الصياح من الألم والذعر بل يحدث غالباً أنهم يتأثرون بشعورات لطيفة ولذيذة بأرواحهم وهم فى هذه الحالة من النوم العميق . وذلك إنما يثبت التمايز بين الروح والجسم بل وتفاصلهما عن طريق مثل هذه المواد) .

أما الطب فإن كافة فروعه لتبحث عن الروح والجسد وتهتم بدراستهما وكلما تقدمت العلوم الطبية تقدمت أبحاث الروح والنفس وأصبح الطب يعتبر أن حقيقة وجود النفس الإنسانية لا يمكن أن تكون موضع الجدل وبذلك وجدت فروع الطب التى تختص بالنفس وفى تقرير وجود الروح نجد الدكتور الكسيس كاريل الحائز على

جائزة نوبل فى الطب والجراحة يقول (نحن ندرك أننا موجودون وأن لنا شخصية ونشاطاً خاصاً ، ونحن نشعر بأننا نختلف عن الأفراد الآخرين ، ونعتقد أننا نتصرف بحرية.. إما نحن سعداء أو بؤساء .. وإن حالات شعورنا تنساب فى الزمن كما ينساب النهر فى جنبات الوادى وأننا كذلك النهر فى تغيره ودوامه ، ونحن أكثر من الحيوانات الأخرى استقلالا عن وسطنا ، لقد حررنا عقلنا منـــه ، والإنسان هو أولا وقبل كل شىء مخترع الأسلحة والعدد والآلات وهذه المخترعات هى التى استطاع بها أن يبدى صفاته الخاصة التى تميزه عن كافة الـكائنات الحية الأخرى لقد عبر عن صفاته هذه تعبيراً موضوعياً بتماثيل ومعـــابد ومسارح وكاتدرائيات ومستشفيات وجامعات ومعامل ومصانع وهكذا طبع وجه الأرض بطابع أوجه نشاطه الجوهرية أى بحسه الجمالى والدينى ، وبحسه الأخلاقى وعقله وإستطلاعه ، والإنسان محط هذا النشاط القوى كله يمكن أن ننظر إليه من الداخل أو من الخارج فإذا نظرنا إليه من الداخل أبدى للملاحظ الفرد الذى هو نحن أنفسنا ، أفكارنا ونزعاتنا ورغباتنا ومسراتنا وآلامنا ، وإذا نظرنا إليه من الخارج بدأ كالجسم الإنسانى جسمنا أولا ثم جسم أمثالنا جميعهم فهو إذن ذو وجهين مختلفين تمام

الاختلاف ، من أجل هذا اعتبر أنه مكون من جزئين هما (الجسم والروح) ولكن لم يحدث قط أن لاحظ أحد روحاً بلا جسم ولا جسماً بلا روح) .

وقرر الطب أن استخدام التنويم المغناطيسى فى العمليات الجراحية وغيرها إنما يؤكد وجود روح للإنسان يمكن عن طريق التسلط عليها بالتنويم المغناطيسى إبعادها عن الجسم مؤقتاً أثناء العمليات الجراحية ومن ثم لا يشعر الإنسان بأى ألم ، وكذلك التأثير عليها بما يجعلها تحس بإحساس يخالف حقيقة ما هى عليه فقد أمكن عن طريق التنويم إحلال السعادة محل الألم فى إنسان يتألم .

كما أن الوفاة المفاجئة إنما تؤكد وجود روح للإنسان فقد كان المعروف أن الوفاة إنما تعنى وجود خلل بالجسم لا يمكنه معه أداء وظائفه الحيوية ولكن حالات الوفاة المفاجئة والتى فيها تكون كافة أعضاء الجسم سليمة تماماً لا تجعل هناك أى شك فى أن للجسم روحاً غير جسمه ، وأن هذه الروح قد غادرت الجسم وهو فى أتم حالات الصلاحية فسبب مغادرتها للجسم الوفاة المفاجئة ، والتى لا ترتبط بأى خلل طارئ على الجسم .

ورغبة من الإنسان فى المزيد من المعرفة بنفسه وروحه أفرد للبحث

الروحى جانباً مستقلا من العلم فرأينا فى العصر الحاضر جامعات أوروبا وأمريكا تتجه إلى تخصيص دراسات قائمة بذاتها فى موضوع الروح وآثارها وأدلة وجودها والظواهر التى تحدثها والقوى غير المعروفة التى يمكن أن تشاهد بفعلها أو كما حددتها جامعة كمبردج فى بريطانيا بما نصه « فحص الظواهر العقلية أو الجسمانية التى تبدو لأول وهلة كأنها تشير إلى وجود قوى معرفة أو فعل خارقة للعادة فى بنى الإنسان خلال حياتهم الراهنة وإلى بقاء عقل الإنسان بعد الموت الجسمانى » بينما أقامت جامعة أكسفورد جمعية أسمت نفسها جمعية الفازماثولوجيا أى جمعية علم الأشباح . وانتشر العلم الروحى الحديث فى معظم جامعات العالم وتحت أسماء مختلفة إلا أنها متفقة فى الغاية وهى بحث ودراسة الروح الإنسانى . ولا تقتصر هذه الدراسات كما قد يعتقد على الدراسة النظرية أو البحث الفلسفى بل انها وضعت أبحاثها موضع التجريب العلمى ودخلت هذه الدراسة إلى معامل الفحص والبحث .

ففى المعهد الروحى بباريس أجرت مدام كورى الباحثة والعالمة المعروفة تجارب للتيقن معملياً من وجود روح للإنسان بأن جاءت بثلاث كشافات كهربية وشحنتها وطلبت من الوسيطة التى تمارس

الوساطة الروحية أن تطرح روحها وتفرغ هذه الكشافات الثلاثة عن بعد وفعلا قامت الوسيطة بتفريغ شحنات الكهرباء عدة مرات وهى فى مكانها بعيداً عنها واستنتجت مدام كورى ومن معها أن ثمة شيئاً خرج من جسد الوسيطة البعيدة عن الكشاف ثم لمسه ففرغت شحنته خلاله إلى جسم الوسيطة ثم إلى الأرض وقد صدر عن ذلك تقرير من المعهد السيكولوجى بباريس ونشر فى أكثر من صحيفة كمحاضر جمعية البحوث الروحية البريطانية وفى أكثر من كتاب مثل (بحوث معملية فى الظواهر الروحية) للدكتور هيربوارد كارنجتون .

وقد استخدم الدكتور واترز الجهاز المسمى بمخدع ولسن والذى يصور سيول الكهرباء المختلفة بالفوتوغرافيا وكانت النتيجة التى دونها فى تقريره (بينة جديدة تعين نوعاً من طاقة يفقدها الجسم الفيزيقى عند لحظة حدوث الموت الحقيقى . ولم تدل البينات الفيزيقية المستخلصة على أن ذلك الذى يفقده الجسم نوع من أنواع الطاقة فقط بل دلت على أنه جسم غير مادى إنسل من الجسم المادى فى لحظة حدوث الموت وقد أمكن أن يرى باستخدام بخار الماء » .

وقد أجرى العلماء تجارب واسعة على آلاف من المرضى وهم فى

حالة الاحتضار لاسيما جرحى الحروب فأمكن عن طريق استخدام أجهزة الوزن الدقيقة واتخاذ إجراءات المحافظة على كل ماقد يفقده الجسم من رطوبة أو هواء من معرفة أنه عند الموت يفقد الجسم جزءاً محدداً لم يتغير من إنسان إلى آخر وهذا الجزء الذى أمكن وزنه قرر العلماء أنه وزن الروح . كما أجريت التجارب الواسعة كذلك على استخدام أنواع خاصة من آلات التصوير وبمعاملات معينة أمكن تصوير أشباح لم تكن ظاهرة فى مكان التصوير الأمر الذى يؤكد أن ماظهر فى الصورة إنما هو صورة الروح ، كما حدث فى لندن أخيراً عندما صور تابوت لمومياء قديمة انتشرت الأحاديث عن لعنة تحل بكل من يوجد عنده التابوت وبتصوير الغرفة التى بها التابوت ظهرت صورة لشبح يشبه الشكل المرسوم على غلاف التابوت تماماً إلا أنه يجاوره تماماً كأنه يحافظ عليه.

وتستخدم بعض الجامعات حالياً مواداً خاصة لإجراء البحوث الروحية كحبوب تعطى لتنشيط ما تسمى بالحاسة السادسة .. وهو ما يؤكد العلم الروحى الحديث أنها حاسة الروح .. وكذلك الخلق التابثىء وهو اتصال عقل بآخر بعيداً عن وسائل الحس المعروفة.. والجلاء البصرى وهو قدرة الإنسان على الرؤية بشكل يخالف الطبيعة وبدون

إستعمال الحواس العادية فيخترق الإنسان ببصره الحجب المعتمة ويرى ماوراءها متعدياً حدود الفضاء والزمن . . والجلاء السمعي وهو قدرة الإنسان على إدراك تأثيرات صوتية لا تتقيد بالزمان والمكان ودون استعمال جهاز السمع العادى .. والسيكومترى وهو تقصى أثر شخص بطريق حاجة من حاجاته .. وكل هذا إنما يؤكد وجود روح للإنسان قدرتها تختلف كثيراً عن قدرة الجسم .

وإذا كان العلم قد وصل إلى حقيقة تكوين الإنسان من جسد وروح عن طريق الدراسات الفلسفية والمنطقية وأيدها بالوسائل العلمية الحديثة عن طريق إخضاع أبحاثها للتجريب والقياس والتصوير ، فإن الإسلام قد سبق العلم إلى تأكيد هذه الحقيقة .. فنجد أن القرآن الكريم يقرر فى خلق آدم أول البشر أن الله سبحانه وتعالى خلقه من طين وهذا هو الجسد ثم نفخ فيه من روحه فكانت هذه هى الروح وتعظيماً لشأن الروح وإظهاراً لأهميتها فإن الله سبحانه وتعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم حالما يتم إيداع الروح فيه وذلك بنص الآيات الشريفة : « إذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِّنْ طِينٍ . فإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِى فقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ » . كما يقرر أن الله سبحانه وتعالى

قد سوى نفس الإنسان كما سوى جسده فى الآيات الشريفة :
« وَنَفسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقوَاهَا » ،
« يَا أَيُّهَا الإنسانُ مَا غرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيم . الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فى أىّ صُورَة مَا شَاءَ رَكَّبَكَ » ، والآيات التى ورد فيها النفس أو الروح كثيرة فى القرآن الكريم ولاتكاد تخلو منها سورة من سوره الشريفة .

واجتهد المسلمون فى أبحاثهم عن الروح مهتدين بهدى القرآن الكريم ومسترشدين بأحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوصل المسلمون إلى أكثر ما وصلت إليه الأبحاث والدراسات العلمية من تأكيد تكوين الإنسان من جسم وروح فنجد حجة الإسلام الإمام الغزالى فى كتابه (المضنون الصغير) يقول : « إن سر الروح لم يؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كشفه لمن ليس له أهلا . فإن كنت من أهله فاسمع . اعلم . أن الروح ليس بجسم يحل حلول الماء فى الإناء ولا هو عرض محله القلب والدماغ ولا هو حلول السواد فى الأسود والعلم فى العالم . بل هو جوهر وليس بعرض يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات وقد منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من إفشاء سره لأن الأفهام لا تحتمله » .

وفى الفوز الأصغر يقول ابن مسكويه (إن النفس الإنسانية ليست بجسم ولا عرض بل جوهر قائم بنفسه واستدل له بأن الجسم إذا قبل صورة لم يتمكنه أن يقبل صورة أخرى من جنسها إلا بعـــد أن يخلع الصورة الأخرى) .

ويقول الإمام الرازى (إن الإنسان ليس عبارة عن هذه البنية لأن أجزاءها تتحلل وتستبدل والإنسان باق من أول عمره إلى آخره ويؤكده أنه يسمن ويهزل ويكبر بعد الصغر . وكذلك لأن الإنسان قد يكون عالماً بنفسه حال غفلته عن جميع أجزائه وأعضائه والمعلوم مغاير لغير المعلوم ثم ولأن المحسوس هو السطح واللون ومعلوم أن الإنسان غيرهما) .

ويقول الإمام شمس الدين أبى عبدالله بن القيم فى كتابه (الروح لابن القيم) عن تعريفه للروح (إنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نورانى علوى خفيف حى متحرك ينفذ فى جوهر الأعضاء ويسرى فيها سريان الماء فى الورد وسريان الدهن فى الزيتون والنار فى الفحم فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقى ذلك الجسم اللطيف متشابكا لهذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية ، وإذا فسدت هذه

الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وإنفصل إلى عالم الأرواح . وهذا القول هو الصواب فى المسئلة وهو الذى لا يصح غيره وكل الأقوال سواه باطلةوعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة)

وكل عالم من علماء المسلمين أو مجتهد من المجتهدين تعرض بالبحث فيما يمس الحياة أو الإنسان أكد وجود روح للإنسان أو نفس خاصة به تخالف جسده وأن لها كيانها الخاص المميز لها وأحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تؤكد هذه الحقيقة كثيرة مثل الحديث الشريف « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » أى أن الأرواح ذوات قائمة بنفسها وأنها تتعارف وتتناكر وبذلك تتآلف وتختلف فهى لهذا لا يمكن أن تكون أعراضاً إنما هى حقيقة وحقيقة هامة وبها تقترب الناس بعضها من بعض . . أو تتباعد بعضها عن بعض . . فهى الأصل إذن.

وما كان بحث الإنسان فى النفس منذ أول بدايته لمجرد الاطمئنان إلى وجود هذه النفس . بل إن هذا البحث لم يكن إلا الطريق الذى يريد أن يصل به إلى تأكيد ما يغامر داخله من إحساس بأن هذا الجزء منه إنما هو جزء خالد لا يسرى عليه ما يقع للجزء الثانى منه

وهو الجسد من موت .. فقد اهتم الإنسان منذ أول لحظات حياته بالبحث في خلوده . . فنجد أنه حتى في عصور ما قبل التاريخ كان الإنسان يعتقد بخلود روحه وعدم موتها بموت الجسم فنجد في تاريخ الحضارة المصرية تحت عنوان (الحياة الآخرة والشعائر الدينية) يقول المرحوم الدكتور سليم حسن ما نصه (وجدنا منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ أن المصرى كان يدفن معه بعض ضروريات الحياة التى كان يستعملها فى حياته الدنيا ، وهذه الظاهرة إن دلت على شيء فإنما تدل على أنه كان يعتقد فى حياة أخرى ينعم بها المتوفى بعد مغادرته هذه الدنيا ، وقد دلت شواهد الأحوال على أنه منذ مواراة جثمان المتوفى كانت تقام له شعائر دينية تشعر بأنه سيبعث فى قبره ويحيا حياة أخرى . والواقع أن المصريين كالجم الغفير من الناس كانوا يعدون الموت عائقاً فى سبيل الحياة وليس نهاية لها ،أو بعبارة أخرى كان الموت يعد تغييراً فى شخصية الفرد لافناء أبدياً لها واعتقاد المصرى فى استمرار حياة المتوفى ظاهر بصورة واضحة ، ولا أدل على ذلك من أن الأحياء كانوا يرسلون خطابات لأقاربهم المتوفين يسألونهم العون على متاعبهم فى الحياة الدنيا . هذا وقد شجع المصرى على الاعتقاد فى الحياة بعد الموت رؤيا الأموات فى الأحلام ومحادثتهم له) ، وفى متون الأهرام نجد

النص (إن الروح (آخ) فى السماء والجسم فى الأرض . ومن ثم نجد أنه من الخطأ أن تعتبر فكرتى (با) أى الحياة و (آخ) غير متلائمتين، وذلك أن المتوفين يمكن أن يظهروا على الأرض بوصفهم (باو) ولكنهم كانوا (آخو) فى أشكال حياتهم الرفيعة التى يحيونها فى عالم السماء ، والواقع أن فكرة (الآخ) تدل على أن التغيير الذى حدث بالموت قد نقل الإنسان من دائرة الواقعى إلى دائرة المهم ، من صورة الحياة الزائلة الخاصة إلى صورة الحياة الباقية التى لا يعتريها التغيير) .

ثم جاء الفلاسفة فى مختلف العهود لتضع قضية خلود الروح موضع الاهتمام الأكبر والغاية القصوى فنجد كبار الفلاسفة قد تركوا أقوالا فى خلود الروح تعتبر من أروع ما سطرته الأقلام على الصحف فنجد سقراط الحكيم يقول (أما أن نخشى على الروح أن يبددها الهواء عند رحيلها لاسيما إن كانت الريح عاصفة فتفنى بذلك وتزول فخوف لا يعتمد على أساس صحيح . . ولنسائل أنفسنا : أى الأشياء يجوز عليه التحلل والفساد ، أهو البسيط أم المركب ؟ . . الثابت أم المتغير ؟ .. الفكرة الخفية أم المرئى المحسوس ؟ .. لاشك فى أن المركب المتغير المرئى هو ما يجوز عليه الفساد ، وذلك هو الجسم ، أما الروح وهى فكرة خالصة لا تعرف التغير والتبدل فلا يعتريها الفساد . هذا

إلى أن الروح تأمر والجسد يطيع ، وإذن فالروح شبيهة بالإلهى الخالد وأما الجسد فقريب من الزائل الفانى وهكذا مهما تقلب وجهة النظر تر الروح تصور القداسة والخلود والجسد يصور الخصائص البشرية الفانية فبينما ترى الجسد يتعرض للتحلل السريع ترى الروح تستعصى على الفساد أو تكاد تستعصى عليه ومع ذلك فقد يمكن للجسد أن يصان بالتحنيط حيناً طويلا من الدهر ، فهل يحتمل للروح بعد ذلك أن تفنى وتتبعثر فى الهواء وهى فى طريقها إلى الله الخبير الحكيم ؟ إن الروح بعد الموت تتجمع فى نفسها وترتفع عن الجسد وتتخلص من أحزان الناس وسخفهم لتعيش مع الآلهة إلى الأبد) .

ولا تختلف أقوال الفلاسفة فى العصور القديمة عما قال به سقراط واستمر خلود النفس وبقاء الروح بعد الموت موضع بحث الدراسات الفلسفية فى مختلف العصور إلى أن وجدنا فى عصرنا الحديث تصل الفلسفة إلى بيان حقائق خلود النفس وبقاء الروح ببراهين وأدلة أكثر وأوسع مما جاءت به فلسفات العصور القديمة فنجد فى كتاب (الطبيعة وما بعد الطبيعة) ،مانصه(نرى للنفس الناطقة « الإنسانية » بعض أفعال مستقلة عن الأعضاء فنحكم بأنها مستقلة عن الجسم فى وجودها ، تلك الأفعال هى الصادرة عن العقل والإرادة وذلك

الاستقلال هو المسمى بالروحانية فإن النفس الإنسانية تدرك موضوعات مختلفة الماهية والأعراض : تدرك الخالق والمخلوق ، الروح والجسم ، الجوهر والعرض ، الوجود الواقعي والممكن الذهني وهذا دليل على أن العقل غير مخصص بموضوع أو بطائفة من الموضوعات كتخصص الحواس الظاهرة (العين مثلا للضوء واللون والأذن للسمع) هذا فضلا عن كون العقل يدرك موضوعاته على نحو غير مادى مجردة عن المشخصات ولو كان العقل معيناً بعضو لكان هذا التعبير يحول دون إدراكه أشياء مختلفة كذوق المحموم لمرارته بالحمى لا يشعر بالحلاوة وكعين المصاب بالصفراء ترى جميع المرئيات صفراء وكذلك الإرادة . فإذا كانت النفس الإنسانية مستقلة بوجودها وبفعلها الخصوصين اللذين هما التعقل والإرادة فمن البديهى أنها لا تفنى بفناء الجسد ولكنها تبقى متعقلة مريدة مدركة ذاتها بذاتها لأنها بريئة من المادة ومن ثمة معقولة بالفعل بعكسها في حالة اتحادها بالجسم حيث هي غير مدركة ذاتها بذاتها وتلك هي مسألة الخلود .

ونقول ثانياً أن في الإنسان ميلا طبيعياً أساسياً للبقاء إلى غير انتهاء والميل الطبيعي الأساسي يرجع إلى طبيعة الكائن وإذن فطبيعة الإنسان أن يظل حياً دائماً . هذا الميل نعرفه في أنفسنا وفي سائر

الناس فى جميع العصور علاماته: الرغبة فى تأييد أفراحنا وأعمالنا وإسمنا والنفور من الموت ذلك النفور الذى هو صورة أخرى للميل للبقاء ، والدال عليه تكريم الموتى عندالشعوب قاطبة والعناية بدفنهم وتزويدهم بالمأكل والمشرب .

ونقول ثالثاً لكى يكون الواجب الخُلقى مفهوماً وفعالاً يجب أن يكون الإنسان خالداً حقاً وإلا لم يوجد فى الحياة الأرضية جزاء كاف على الأفعال الخلقية لا من جهة الطبيعة فإنها غير خلقية غير مميزة بين الأفعال غير مقرزة للجزاءات ولا من جهة المجتمع فهو لا يتناول سوى الأفعال الظاهرة وهو مبنى على الخداع ولا من جهة الضمير فإنه لايحكم على نفسه بل يحاول جهده التنصل من التبعة والتخلص من المعاقبة ومن هذه الأوجه الثلاثة ما أكثر ما يشقى الصالح وينعم الطالح به . فلابد من حياة أخرى تتحقق فيها العدالة التامة ويسود النظام وتكون هى رادعاً قوياً).. وأقوال علماء الفلسفة فى هذا المجال لا تتسع لها الصفحات .. أى صفحات .

وقد بحث علماء الطبيعة فى أمر خلود الروح فيقول العالم كاميل فلامريون « الروح ليست بالجسم ولا هى مستفادة منه بل هى تؤكد بأنها ممتازة عنه وليس فى الناس من لا يعرف فضل الإرادة . فالثبات

فى هــــذه الإرادة سواء أكانت حسنة أم رديئة وفكرة التضحية والبطولة واحتقار الآلام وعدم حس أعضاء الشهداء الذين كانوا يتكبدون أفظع التعذيبات ونكران الذات والإخلاص والفضائل والعيوب والإحسان والحسد والحب والبغض أليست هذه كلها صفات تدل على استقلال الروح عن المخ إستقلالا نسبياً .. فهذا المخ يعمل .. وهذا وجدان يحس ويفكر ويريد .. فإذا كان عمل المخ يقابل مجموع عمل الوجدان أى إذا كان هناك توازن بين المخى والعقلى فيمكن أن يخضع الوجدان لما قُدر على المخ ويكون الموت نهاية الإثنين ، ولكن إذا كانت الحياة العقلية تطغى على الحياة المخية وإذا كان المخ لا يترجم بحركاته إلا عن جزء صغير مما يحدث فى الوجدان فالبقاء بعد الموت يكون من الرجوح بحيث يلقى عبء التدليل على المنكر لا على المثبت ، لأن الدليل الوحيد الذى لنا على تلاشى الوجدان بعد الموت هو أننا نرى الجسم يتحلل ولكن هذا الدليل لا يكون له أقل قيمة إذا كان استقلال الوجدان عن الجسم ولو إستقلاله الجزئى صار من الأمور المحققة » .

ويقول العالم هنرى برجسون (لو فرضت أن شخصاً استطاع أن يراقب المخ من الداخل فى أثناء قيامه بفاعليته ويتعقب تحركات الذرات

ذهاباً وجيئة ويصل إلى تفسير كل ماتقوم به فإن هذا الشخص سيقف ولاشك على شيء مما يجرى فى الروح ولكنه لن يعرف إلا النذر اليسير عن طبيعتها . إنه سيعرف فقط على وجه التحديد ما يظهر من أفكاره فى صورة إشارات باليد أو أوضاع أو حركات بدنية وسيعرف ما تحتويه الحالة النفسية من أفعال فى طريق التحقق أو فى حالة ميلادها ولكنه سيجهل ما عدا ذلك . لأن الحالة المخية الواحدة سيكون فى مقابلها عدد كبير من الحالات النفسية المختلفة . وكلها موافق لها وسيكون علينا نحن أن نختار من بينها حالة واحدة وعليك أن تلاحظ جيداً أننى لا أقول بأن أية حالة من حالات النفس يمكن أن تقابل حالة معينة عن حالات المخ وعلى ذلك فإن المخ ليس هو الذى يحدد الفكر وبالتالى فإن الفكر جزء كبير منه على الأقل مستقل عن المخ. وإذا رمنا الحق فالمخ ليس إذن أداة للتفكير ولا للعاطفة ولا للشعور ولكنه هو الذى يجعل الشعور والعاطفة والفكر متجهة نحو الحياة الواقعية ، ومن ثم هو الذى يجعلها ذات تأثير حقيقى فعال . وإذا شئت فقل إن المخ هو العضو الذى يقوم بمهمة جذب الإنتباه إلى الحياة. ولكن هذا يعنى أيضاً أن حياة الروح لا يمكن أن تكون نتيجة لحياة الجسد وأن كل شيء يبدو على العكس من ذلك كما لو كان الجسد

أداة نافعة للروح ، وبالتالى فليس لنا حق فى أن نقول أن الجسد والروح مرتبط أحدهما بالآخر تمام الارتباط .

والحق إن خلود الروح نفسه لا يمكن أن يبرهن عليه تجريبياً . ولكننا إذا استطعنا أن نثبت عن طريق التجربة إمكانية أو حتى احتمال الحياة لفترة محدودة فقط بعد الموت فإن هذا سيكون حدثاً ذا بال وأمراً خطيراً .. لكننا نلاحظ أنه إذا كان عمل المخ يتفق مع ما يجرى داخل الشعور كله وإذا كانت هناك مقابلة تامة بين ما يجرى فى المخ وما يجرى فى الروح فإن الشعور سيطيع طاعة عمياء ما يجرى على المخ . وسيكون فى الموت نهاية كل شىء فى حياة الشعور . . ولكن إذا كان عمل المخ مقصوراً فى أن يعبر فقط فى صورة حركات عن جزء يسير فحسب مما يجرى فى الشعور فإن القول بالحياة بعد الموت سيصبح قريباً إلى الحقيقة لأن البينة هنا ستكون على من ينكر لا على من يثبت وذلك لأن السبب الوحيد الذى يدفعنا إلى إنكار الشعور والحياة بعد الموت هو أننا نشاهد أن البدن يتحلل بالموت . لكن هذا السبب لا قيمة له . إذا كان استقلال الشعور كله تقريباً عن البدن ظاهرة مشاهدة يقرها الجميع) .

وقام الأطباء بدراسة بعض الظواهر غير الطبيعية والتى من أمثلتها الاستشفاف والتواصل عن بعد والتى بها يمكن للإنسان أن يدرك بعينيه أو يسمع بأذنيه ما لم يمكن لغيره أن يراه .. أو يسمعه أو يحس بما قد يقع فى المستقبل .. والبعض قد أطلقوا على هذه الظواهر إسم الحاسة السادسة وكلها إن دلت فإنما تدل على وجود روح منفصلة للإنسان ذات قوى أكبر من الإنسان نفسه كجسد .. وإذا أمكن لمثل هؤلاء رؤية روح آدمى بعد موته . . فإن ذلك إنما يعنى خلود الروح بدليل إمكان رؤيتها بعد موت صاحبها وفى ذلك يقول ألكسيس كاريل (إن وجود الاستشفاف والتواصل عن بعد هو من المعطيات المباشرة للملاحظة ويدرك ذوو الجلاء البصرى بدون وساطة أعضاء الحس أفكار شخص آخر وهم يعرفون كذلك أحداثاً بعيدة إن قليلاً أو كثيراً فى المكان والزمان . هذه المقدرة خارقة فريدة فى بابها وإنها لا تنمو إلا عند عدد قليل جداً من الأشخاص ولكنها موجودة فى حالة بدائية عند كثير من الأفراد، وهى تمارس دون جهد وبطريقة خاطفة ، إنها تبدو بسيطة جداً لمن يمتلكونها وهى تتيح لهم معرفة بعض الأشياء معرفة أكثر يقيناً من التى يحصلون عليها بأعضاء الحس . إنهم يرون أفكار أى شخص بالسهولة عينها التى يحللون بها تعبيرات وجهه

ولـكن كلة يرى وكلة يحس لا تعبران تماماً عما يحدث فى شعورهم . . إنهم لا يرون ولا يحسون وإنما يعرفون ويبدو أن قراءة الأفـكار والأحاسيس تمت فى آن واحد بصلة للوحى العلمى والجمالى والدينى وظواهر التواصل عن بعد.. ويحدث فى كثير من الحالات تواصل عند الموت ، أو الخطر الشديد بين شخص وآخر، يظهر الشخص المحتضر أو ضحية الحادث حتى ولو لم يعقب الموت هذا الحادث لحظة فى صورته المألوفة لأحد أصدقائه وكثيراً مايظل الطيف صامتاً وأحياناً يتكلم ويخبر عن موته).. وهذا لاشك إنما يؤكد وجود الروح وبقاءها بعد موت صاحبها .

والعلوم الحديثة قد أثبتت أيضاً هذه الحقيقة المؤكدة بل أن علوم ما فوق الطبيعة أو ما تسمى بالميتافزيقا إنما هى دراسات تختص أصلاً بالبحث فى روح الإنسان وإثبات خلود الروح ومحاولة الاتصال بأرواح الموتى بطرق مختلفة ، وقد تعددت المؤلفات . . التى صدرت فى هذه الناحية .. وكلها لعلماء أجلاء . . ومستندة إلى أسس علمية ونتائج معملية فهى لم تقتصر على البحوث النظرية والأسانيد العقلية . . بل إنها لم تطمئن إلا إلى الأجهزة التى لا يمكن للخداع أو التزوير أو الشك أن تصل إليها أو تصيبها . . فنجد مثلا جيمس آرثر فندلاى رئيس

المعهد العالى للبحث الروحى يخرج عدة كتب فى الروحية منها كتابه (على حافة العالم الأثيرى) فيطبع حوالى الأربعين طبعة فى أقل من عشرين سنة ويترجم إلى أكثر من عشرين لغة ويطبع بالحروف الخاصة بمن حرموا البصر وهذا الكتاب إنما وضع أصلا لتأكيد خلود الروح وبقاء النفس بعد الموت وفى التمهيد للكتاب يقول المؤلف (وما الموت إلا انفصال الجسم الأثيرى عن الجسم المادى ويحمل هذا الجسم الأثيرى معه العقل أو النفس ، وعندئذ ننظر إلى الكون من وجهة النظر الأثيرية لا من وجهة النظر المادية ويصبح العالم المادى أمراً تافهاً لا يعتد به أما الأثيرى وهو ما نسميه نحن الفضاء فليس إلا مادة حقيقية فى صيغة أكثر تخلخلا وهو العالم الحقيقى الذى يعتد به وهو كما عرفنا عن تكوينه كون مستقر ثابت فى حين أن الكون المادى دائب التغير سائر إلى الإنحلال ولا يوجد فى الكون الأثيرى أى أثر للإنحلال بل إن كل شىء فيه ثابت منتظم . أما عقل الإنسان فشىء فوق الأثيرى ولا يستطيع أى إنسان وهو فى جسمه الفيزيقى أن يشرح العقل ويفسره ولكنه لابد أن يكون شيئاً فوق الأثيرى لأنه يعمل بعد الموت فهو الذى يرشد الجسم الأثيرى ويضبطه ولن يتغير العقل بالموت ولكنه يؤدى وظائفه فى أوساط أخرى مغايرة) .

وهذا هو الدكتور إدوين فردريك باورز أستاذ الأمراض العصبية في جامعة مينابوليس بالولايات المتحدة بأمريكا يقول في مقدمة كتابه عن الروحية (هذا الكتاب تحدٍ . . تحدٍ للجهل والتطرف وروح التعصب الناكرة الكارهة ما تجمع من البينات الدالة بشكل قاطع على بقاء الشخصية وحياتها بعد ذلك التغير الذى نسميه موتاً . وقوام نقاش الروحي الحديث هو أن الروحية لم تعد بعد في حاجة إلى دفاع فهي ليست بعد الآن كذلك (اللاهث الهامس في ذلة) المتوسل إلى قضاة الشك أن يستمعوا لقضيته . فمسائل الروحية واضحة ولا تتطلب إلا اجوابةً صريحاً ولكى لا يساء الفهم بصدد كتابي هذا أعود فأقول مرة أخرى إن هذا الكتاب ليس دفاعاً عن الروحية لأن الروحية لا تحتاج إلى دفاع ولكنه تحدٍ، إنه تحد لكل شخص يعتقد أن كتلة البينات التى سأعرضها هنا من تجاربي الخاصة ومن تجارب كثيرين من كبار المفكرين الذى ظهروا في الوجود . ما هي إلا قصص ونوادر يرويها جماعة من البلهاء . ولنذكر أن لهذا الموضوع أدباً غنياً رائعاً يحصل على الكثير منه أولئك الذين يعنون بتتبع أثره ويهتمون بالأوجه العلمية التى تبحث في بقاء الوعي أو الشعور بعد الموت . ففي مكتبة جميعة البحوث النفسية توجد الألوف المؤلفة من الرسائل التى تتناول

كل واحدة منها موضوعاً واحداً ذلك عدا مئات من الكتب والتقارير فى هذا الموضوع بجميع اللغات ، وفى الدور العلوى من منزل هايسلوب وهو المقر الرئيسى لجمعية البحوث النفسية الأمريكية قد خصصت مجموعة من الكتب والمجلات والتقارير التى تشرح قلب طالب العلوم الخفية ولنذكر دائماً خلال قراءتنا ودراستنا صيحة براو ننج الداوية إلى المستهزئين حيث يقول « كل ما لا يمكن نقضه يبقى دائماً أبداً .. وقد تتغير الأرض ولكن روحك وربك يبقيان كما هما») .

ولم تقتصر هذه البحوث الروحية على علماء النفس أو الأطباء بل لقد جذبت بحقائقها قادة العلم من مختلف العلوم ولمعت فى ميدانها أسماء تعتبر حجة فيما تخصصت فيه وقمة فيما جاءت به وراجت مؤلفاتهم فى الروحية أو اعترافاتهم بها كما راجت أصول علومهم وفنونهم التى تعتبر مراجع للجامعات والمعاهد كلها مثل السير ويليام كروكس من أشهر علماء الكيمياء ورئيس المجمع العلمى البريطانى والسير الفريد رسل والاس من كبار علماء البيولوجيا والذى لا يقل فى مركزه عن داروين وشارل ريشيه الأستاذ بكلية الطب بباريس الحاصل على جائزة نوبل فى الفيسيولوجيا والسير أوليفر لودج من كبار علماء اللاسلكى ووليام جيمس مدير جامعة هارفارد والسير آرثر كونان دويل ومئات أمثالهم

فى كل دولة.. غير المجتهدين والباحثين والدارسين من مختلف الثقافات وعديد الدرجات وهم ينتشرون بحيث يمكن أن يقال أنهم أصبحوا الكثرة والغالبية . . ولم يعد يعارض هذه الحقائق إلا القلة من الذين يتشككون فى أصل الأديان . . وأصبحت حقيقة خلود الروح وبقاء النفس بعد الموت أمراً مؤكداً لا يحتاج إلى دليل بعد ، بل إنه من فرط الإقتناع به والإيمان بما وصل العلماء إليه فيه تجاوزوا الأبحاث التى كانت أصلاً لتأكيد الحياة بعد الموت إلى مرحلة أخرى تهدف إلى الاتصال بالموتى اتصالا مباشراً دون الوسيط الذى قد يقوم بسببه الشك فى نفس الإنسان وقد نشرت الصحف أن مستر جون وليمسن مؤسس دراسات ما وراء الطبيعة فى إنجلترا قال أنه قد يحل فى القريب العاجل اليوم الذى يستطيع فيه المرء أن يرفع سماعة تليفون خاص ليخاطب الموتى فى عالم الأرواح وقال أن روحى جراهام بل وماركونى أخبراه عن طريق وسيطه بذلك وأن آلات تحطيم الذرة ستكون هى سبيل هذا الاتصال ويقول السير أرنست منزك مدير الاتحاد الاقتصادى ورئيس معهد مهندسى الراديو باستراليا إن تقدم علم الراديو سيمكننا فى المستقبل القريب أن نتصل بأحبابنا الذين سبقونا إلى العالم الآخر .. وفى معهد البحوث الروحية بلندن وضع العلماء

تصميم أجهزة فعلا أسموها الرفلكتوجراف والكوميرنجراف والتليفوكس للاتصال المباشر بالموتى. وما زال العلم يسعى .. لعله يصل إلى جديد حاسم يكون فيه الدليل المادى الملموس على خلود الروح .

وكل ما وصل إليه العلماء من مختلف قطاعات العلم وفى كل الأزمنة بشأن خلود الروح قد جاء به القرآن الكريم صراحة وأخرج المسلمون فى ذلك كتابات قاطعة تدل دلالات حاسمة على أن الإسلام قد وصل فى هذا البحث إلى نهايته الصادقة الحقيقية المؤكدة .

فالآيات الشريفة التى تثبت هذه الحقيقة كثيرة وفى معظم سور القرآن الكريم . . وهل هناك أوضح أو أقطع من الآية الكريمة « وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ ». وإذا كان هذا هو الأمر مع من يقتل فى سبيل الله فكيف بالأنبياء والرسل والمجاهدين والمنفقين فى سبيل الله . . ألا يجب أن يكونوا كذلك أحياء .. ؟.. وألا تكون الآية الشريفة قد نزلت لتأكيد الحياة بعد الموت للقتلى وأن شأنهم كغيرهم بعد أن يكون قد خشى البعض من أن القتل بما يسببه من فصل الرأس عن الجسد أو انشطاره مثلا قد يمنع قيام الحياة فى القتلى بعد الموت فنزلت هذه الآية لتأكيد هذه الحقيقة ؟ . . ويقول القرآن الكريم « حَتَّى إِذَا

جاءَ أَحدَهُمُ الموَتُ قَالَ رَبِّ ارجِعُونِ . لَعَلّى أَعمَلُ صَالِحاً فِيماَ تركتُ كَلاَّ » . وبديهى أن الإنسان عندما يقول رب ارجعون يكون قد رحل عن الحياة إذ يسأل الله أن يرجع إليها فهذا بعد الموت وبدليل أول الآية إذ تنص على ذلك أى أن الإسان بعد الموت يعلم أنه ترك الحياة ويندم على سوء ما فعله ويرجو لو عاد إلى الحياة لعله يعمل صالحاً . وهذا يفيد حياة الروح وبقاء النفس بعد الموت يقيناً .

ولو تدبرنا النص الكريم « إنَّ الذّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ استَقَامُوا تتنَزَّلُ عَلَيهِم المَلائِكَةُ ألاَّ تَخَافُوا ولاَ تَحزَنُوا وَأَبشِرُوا بِالجَنَّةِ التِى كُنتُم تُوعَدُونَ » لوجدنا أن هذا الأمر إنما يتم بعد الموت وقبل القيامة فالملائكة تتنزل لمخاطبة الأرواح بعد أن تنتهى حياتها فى الجسد وطالما أمضتها وهى تؤمن بالله وعلى الاستقامة . إذ أن الخطأ قريب من الإنسان طالما هو فى حياته الدنيا وبعد أن ينتهى منها يكون أمره قد تم فيها وبذلك تقرر شأنه كما أن الآية الشريفة توحى كذلك بهذا المعنى لأن الملائكة تبشر بالجنة .. والبشرى تكون لشىء يقع فى المستقبل .. كما أن نهاية الآية تؤكد ذلك أيضاً فى نصها « بالجنة التى كنتم توعدون » أى سبق أن وعدتم بها

فى الحياة الدنيا عن طريق الكتب السماوية والرسالات التى أرسلها الله سبحانه وتعالى للبشر ..فالآية الشريفة إذن إنما تقرر حقيقة حياة الروح بعد الموت وإدراكها لما تقوله لها الملائكة وفهمها ما كانت عليه ونتيجته وذلك بعد الموت وقبل القيامة .

والآيات الشريفة « فَأَمَّا مَن أُوتِىَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيتَنِى لَم أُوتَ كِتَابِيَه . وَلَم أَدرِ مَا حِسَابِيَه . يَالَيتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ » تشير أيضاً إلى حقيقة استمرار الحياة بعد الموت إذ يقول الإنسان عند حسابه وتقرير عذابه ياليتها كانت القاضية أى الموتة التى ماتها ليتها كانت القاضية على كل ما بعدها والقاطعة للحياة التى استمرت بعد الموت وكانت نتيجتها قيام الساعة والحساب والعذاب .

ومما يؤكد بقاء الروح بعد الموت وحياتها أن القرآن الكريم قد قرر أن من الأنبياء من رفعوا بعد الموت مكاناً علياً بالنص الشريف « وَاذكُر فِى الكِتَابِ إدرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياً . وَرَفَعنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً » ولترفع الروح إلى مكان لابد أن تكون حية وإلا إذا كانت قد فنيت لاستوى فى ذلك المكان العالى وغيره .. وإذا كان سيدنا إدريس قد رفع بعد الموت مكاناً عالياً فكأن

من الأنبياء من رفع كذلك إلى مثله وقد يكون إلى أعلى أو إلى أقل وإن الناس يكونون فى أمكنة معينة تختلف كذلك باختلاف أعمالهم وهذا ما رآه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله فى الإسراء والمعراج . إذ رأى سيدنا إدريس فى السماء الرابعة فعلا وغيره فى سماوات أخرى ..

وكذلك النص الشريف « قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ » . . إنما يفيد أن جمع الناس إنما يتم بعد الموت ويستمر هذا الجمع إلى يوم القيامة فكأن اجتماع الأرواح إنما يتم بالموت حتى يوم القيامة الذى تجتمع الأرواح فيه على صورة أخرى وهذه تكون بعد أن تستقر فى أجسادها .

والآيات المماثلة التى تؤكد هذه الحقيقة كثيرة .. وعلى هداها . . وهدى ما أوحى الله به لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وردت أحاديث شريفة كلها تقرر هذه الحقيقة مثل الحديث الشريف (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) وهو يقطع بوجود حياة بعد الموت يجب على الإنسان أن يعمل لها وهذا يؤكد خلود الروح وبقائها بعد الموت .

وعن أنس بن مالك قال سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل وهو يقول يا أهل القليب ياعتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام فعدد من كان منهم فى القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً فقال المسلمون يارسول الله أتنادى قوماً قد جيفوا قال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا .. وفى ذلك الدليل الذى لاشك بعده أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان يؤمن إيماناً تاماً أن من مات فقد دفن جسده وانطلقت روحه .. وأن روحه حية خالدة تسمع وترى وتحس .

وحديثه الشريف صلى الله عليه وسلم (تحفة المؤمن الموت) قال الإمام الغزالى فى تفسيره أن الدنيا سجن المؤمن إذ لا يزال فيها فى عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه . فالموت إطلاق له من هذا العذاب والإطلاق تحفة فى حقه ..فكأن المؤمن إنما يخرج من سجن الدنيا إلى رحاب الآخرة وهذا دليل على أن الروح خالدة لا تموت .

والأحاديث الشريفة التى تؤكد هذه الحقيقة كثيرة وقد اجتهد علماء المسلمين فى كافة العصور فى بحث حقائق الروح وماهيتها وحياتها

بعد موت الجسد والمؤلفات والمراجع التى تركها هؤلاء العلماء كثيرة وجليلة وأقوالهم فى هذا الميدان قاطعة وواضحة فنجد الإمام الغزالى يقول فى كتابه الأربعين فى أصول الدين (الروح لا تفنى البتة ولا تموت بل يتبدل بالموت حالها فقط ويتبدل منزلها فترتقى من منزل إلى منزل وإن الحقيقة التى أنت بها أنت فلا تفنى بالموت أصلا بل يتغير حالك فقط وتبقى جميع معارفك وإدراكاتك الباطنة) .

ويقول الفارابى الفيلسوف الإسلامى الكبير (إن للنفس بعد الموت سعادات وشقاوات وإن السعادة ليست إلا أن تتحرر النفس من قيود المادة فتصير عقلا كاملا) .

وأما ابن رشد فيقول (اتفقت الشرائع جميعاً على وجود أخروى بعد الموت وإن اختلفت فى صفة ذلك الوجود) .

والفيلسوف أبو على أحمد بن يعقوب المعروف باسم (مسكويه) يقول فى ذلك (النفس جوهر باق لا يقبل الموت ولا الفناء وستجزى على ما عملت فى الدار الأخرى إلا أن سعادتها وشقاءها اللذين سيحصلان لها بعد مفارقة البدن أمور روحية تناسب موتها وجوهرها) .

وأما عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى من كبار فلاسفة المغرب فقد ناقش موضوع بقاء النفس بعد مفارقة الجسد بالموت وأورد فى ذلك عدة براهين منها أن الجسم ليس حياً إلا بالقوة ولا يصير حياً بالفعل إلا بجوهر آخر غيره هو حى بالفعل وذلك الجوهر هو النفس إذن النفس حية بالفعل وما هو كذلك لا يعدم الحياة . ومنها أيضاً أن الإنسان يتكون من جوهرين : جوهر حى بالطبع وهو النفس لأن فى طبعها قبول العلوم والمعارف وجوهر موات بالطبع وهو الجسم إذ ليس فى طبعه قبول شىء من ذلك. فإذا افترقا بالموت خلص للجسم الموت المحض الذى هو طبعه وفارقته الحياة العرضية التى كان استفادها من النفس وخلصت للنفس الحياة المحضة التى هو طبعها وفارقها الموت العرضى الذى كان عرض لها بسبب استغراقها فى الجسم .

وإخوان الصفا وهم جماعة من المتصوفين وصلوا فى بحثهم إلى أن النفوس المتجسدة الخيرة ملائكة بالقوة فإذا فارقت أجسادها كانت ملائكه بالفعل كذلك النفوس المتجسدة الشريرة هى شياطين بالقوة فإذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل فهذه النفوس الشيطانية بالفعل توسوس للنفوس الشيطانية بالقوة لتخرجها إلى الفعل كما قال تعالى « شَـيَاطِينِ الإنسِ وَالْجن يُوحِي بَعضُهم

إلى بعضٍ زُخْرفَ القولِ غُروراً » فشياطين الإنس هى النفوس المتجسدة الشريرة أنست بالأجساد وشياطين الجن هى النفوس الشريرة المفارقة للأجسام المحتجبة عن الأبصار وأن النفوس الشريرة لما فارقت الجسد وكانت معلقة بالدنيا وسلبت الحواس وآلات اللذات حزنت وتمنت لو رجعت للذات مرة أخرى فحينئذ تصبح النفس كأنها لا حية ولا ميتة كما قال تعالى « لاَ يَموتُ فِيهاَ ولاَ يَحياَ » وتقول « يَالَيتَناَ نُردُّ فَنعملَ غَيرَ الذِى كُناَ نعملَ . يَالَيتَنى كَنتْ تراباً . هَلْ لَنا مِنْ شُفَعاء فَيشفَعُوا لَناَ » وقال تعالى « وَلَو رُدُّوا لَعاَدوا لِماَ نُهُوا عَنهُ إنّهم لَكاَذِبُونَ » لما ركب فيهم من الأخلاق الشائنه وتبقى تلك النفوس متعلقة بأبناء جنسها المتجسدة توسوس لهم وهكذا شأن الغافلين . وهذا يقطع بأن للنفس حياة بعد موت جسدها .

والإمام محمد الرازى فخر الدين إستدل على بقاء الروح بعد الموت بعدة أدلة استند فيها إلى القرآن الكريم والأحاديث فيقول : (إن قول الله تعالى « النَارُ يُعَرضُونَ عَليهاَ غدواً وَعشِياَ » وقوله تعالى « اغرِقُوا فَادخُلوا ناراً » يدل أن الإنسان يحي بعد الموت وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام (أنبياء الله لا يموتون ولكن ينقلون

من دار إلى دار) وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام (القبر روضة من رياض الجنة ، وحفرة من حفر النار) .

وأما الإمام شمس الدين أبى عبد الله بن القيم فله مؤلف ضخم بعنوان (الروح لابن القيم) وهو كما يشير إليه العنوان يختص بدراسة الروح وحياتها بعد الموت وقد أورد العديد من الأدلة التى تؤكد حقيقة حياة النفس بعد موت الجسد مستنداً فيها إلى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والآثار والروايات الصحيحة .

وفى فتوى للشيخ محمد حسنين مخلوف والتى نشرتها وزارة الأوقاف يقول ما نصه (ينبغى أن يعلم أن عالم الأرواح يختلف عن عالم المادة إختلافاً كثيراً فى أحواله وأطواره ، فالروح يسلكها الله تعالى فى البدن فى الحياة الدنيا فتوجب له حساً وحركة وعلماً وإدراكاً ولذة وألماً ويسمى بذلك حياً . ثم تفارقه فى الوقت المقدر أزلا لقطع علائقها به فتبطل هذه الآثار ويفنى هيكل البدن ويصير جماداً ويسمى عند ذلك ميتاً ولكن الروح تبقى فى البرزخ وهو ما بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة من يوم الموت إلى يوم البعث والنشور حية مدركة تسمع وتبصر وتسبح فى ملك الله حيث أراد وقدر وتتصل بالأرواح الأخرى وتناجيها وتأنس بها سواء أكانت أرواح أحياء أم أرواح أموات ،

وتشعر بالنعيم والعذاب واللذة والألم بحسب حالتها وما كان لها من عمل فى الحياة الدنيا وترد أفنية القبور وتأوى إلى المنازل وهى فى كل ذلك لطيفة لا يحدها مكان ولا يحصرها حيز ولا ترى بالعين والآلات كما ترى الماديات . وقد يأذن الله لها وهى فى عالم البرزخ أن تتصل بالبدن كله أو بأجزائه الأصلية إتصالا برزخياً خاصاً لا كالاتصال الدنيوى يشبه اتصال أشعةالشمس وأضواء القمر بالعوالم الأرضيةوهو إتصال إشراق وإمداد فيشعر البدن كذلك بالنعيم والعذاب ويسمع ويجيب بواسطة الروح . وقدلا يأذن الله لها بالاتصال بالبدن فتشعر الروح بذلك كله شعوراً قوياً ويستمر ذلك الشأن لها إلى ما شاء الله حتى يوم البعث والنشور . هذا هو مذهب جمهور أهل السنة وبه وردت الأحاديث والآثار) .

الانتقال إلى الحياة الأخرى

لا يخشى الإنسان شيئاً فى حياته قدر ما يخشى اللحظة التى سينتقل فيها من الحياة الدنيا التى عرفها ومارسها إلى هذا المجهول الذى لا يعرفه والذى لم يمارسه بل لا يعرف أحداً مارسه ثم عاد ليعرف منه .. ولا يرهب الإنسان أمراً قدر مايرهب الموت..فهو من شدة رهبته منه.. ومن فرط كراهيته له .. يبتعد عن أى مجلس يدور ذكره فيه .. وينفر من الإستماع إلى أى حديث عنه..ويتحاشى كل ماقد يشد انتباهه إليه .. والإنسان دائماً يحاول .. بل يحاول جاهداً أن يتناسى الحقيقة التى أجمع العالم بكل أفراده على الإقرار بها . والتى لا مفر منها لكل حى مهما تكن حاله وأيا كان مكانه . والدليل الذى يؤكد هذه الحقيقة ..الإنسان نفسه .. فمنذ أن وجد الإنسان وجد الموت . ومنذ أن قامت الحياة.. قام الموت .. وهو الأمر الحتمى الذى لا مفر لأى إنسان منه . .

ولا يرجع خوف الإنسان من الموت أساساً إلا لظنه بأنه بالموت يفقد الحياة.. وهو الحريص كل الحرص عليها فمهما تكن ظروفه .. وعلى أى شكل كانت حياته .. فهى محببة لنفسه . ومهما تطل أيامه فيها فهو الراغب حتماً فى المزيد منها..ومالهفة الإنسان على صحته والإنشغال عليها والإهتمام الزائد بها إلا محاولة منه لإبعاد شبح الموت عنه .. وإن كان ذلك إلى حين..إلا أنه دائماً يحاول أن يؤجل هذا الحين .. ويتمنى

ألا يحل أجل هذا الحين ..حتى ولو أصبح جسداً بلا قوة ..وعظاماً بلا شدة .. وكمية بلا حركة .. فهل ياترى يخاف الموت بعد أن يتأكد أن روحه خالدة.. وأن الحياة الحقة هى مابعد الموت ؟. وأن شكل الحياة الأخرى إن اختلفت عن الحياة الدنيا فـــلأنها تفوقها كثيراً .. فى ماهيتها وقوتها ووضوحها وإتساعها. فمثل الحياتين كمثل النوم واليقظة والفارق بينهما كالحلم والعلم.. فما الحياة الدنيا بجانب الحياة الأخـرى إلا كغفوة نائم إستيقظ بالموت منها .

وطالما أن التناسق والتناسب والإتزان يحـــكم الوجود بـكل مكوناته فإن نسبة حياة الإنسان الأخـــرى إلى حياته الدنيا كنسبة حياته الدنيا إلى الحياة التى كان يعيشها فى الرحم .. فالإنسان فى الرحم كان يعيش حياة جنينية على قدر معين من الإتساع لايكاد يـكفى إلا لحركة اعضائه . وعلى جانب من المعرفة يكاد يكون معدوما.. فيخرج إلى الدنيا التى يبلغ إتساعها بالنسبة لاتساع حياته فى الرحم مـلايين الملايين التى لا تحصى من المرات بل لا تقوم بها النسبة .. ويـكتسب من المعارف ألواناً ودرجات لا يمـــكن أن يقوم بها نسبة مع حالته الجنينية أى نسبة .. وعندما ينتقل إلى الحياة الأخرى سيجدها بالإتساع الذى يزيد ملايين الملايين التى لا تحصى من المرات عن الحياة الدنيا بل لا تقوم بذلك النسبة ويكتسب من المعارف ألواناً ودرجات لا يمكن

أن تقوم بها نسبة مع معارفه وعلومه التى إكتسبها فى الحياة الدنيا أى نسبة . ! !

ولقد تولد فى نفس الإنسان الظن بأن الموت إنما هو فقد للحياة حينما ربط بين حقيقة الموت وعملية الدفن .. فعندما يرى أن الإنسان الذى كان يفيض بالحياة والحركة قد دفن فى قبره .. وأن هذا الإنسان الذى قد دفن لن يلبث حتى يصير ترابا .. ولا يحاول البحث وراء هذه العملية التى تعتبر نهاية كل إنسان ولا يتولاها بالدراسة والفحص يظل على باطل ظنه ولا يزيد مرور أحداث الموت وتكرار الموتى إلا تأكيد هذا الظن.. بل إن الإنسان لو تابع دراسة مايحدث حتى للجسد الذى لا يعتبر إلاهيكلا تقيم الروح فيه لوجد أنه بعد دفنه يبدأ فى التحلل وبعد مدة طالت أو قصرت يعود إلى عناصره الأولى التى يتكون منها ويصبح ذرات من الكربون والفوسفور والصوديوم والكاليسوم والمغنسيوم وغير ذلك من العناصر المكونة له.. وهذه العناصر بذاتها تظل على صورة تراب حتى يتوافر لها فرصة الدخول فى تكوين النبات عن طريق نبتة صغيرة تدب جذورها فى الأرض لتأخذ ماتكون به كيانها من هذه الذرات ويتغذى بها حيوان .. أو إنسان.. ويتغذى الإنسان بالحيوان. وبذلك تدخل الذرات فى تكوين جسم إنسان

حى مرة أخرى أو تخرج منه مع باقى الغــذاء . وفى الحالتين لا بد أن تعود مرة أخرى إلى تراب وتظل الذرات فى إنتظار دورة أخــــرى لكائن حى . . فجميع الذرات التى كانت يوماً ما جسداً لكائن حى موجودة على حالها فى هذه الدنيا بلا تغير أو تبديل ، وبلا فناء أو عدم . إنما تتغير الأشكال التى كانت تدخل فى تركيبها هــذه الذرات من جسد شاب يافع . . إلى ساق نبات فارع . . إلى جلد حيوان جامح . . إلى قطعة من الأثاث النافع . . أو حفنة من التراب لا تئن تحت وقع الاقدام . . أو تحملها الرياح فتذروها حيث ترقد بعيداً عن أى دورة ليوم أو أيام . . ولــكن لا بد أن تستمر الدورة . ولا بد أن تتتابع الحالات التى تسير فيها الذرات .

وإذا كان هذا هو أمر الجسد . . وبعد أن تأكد بالأدلة والبراهين خلود الروح . . كيف يظن أن الموت إنما هو عدم . . وأن الوفاة فناء . . ؟ . . وبذلك كيف يميل الإنسان إلى الاعتقاد بأن الموت شر بل كل الشر ؟

أننا لو رجعنا إلى أئمة الفلسفة وإلى العلماء فى مختلف قطاعات العلم وإلى الدين ما وجدنا من يقول أن الموت عدم وفناء بل أن العلم والدين ليتفقان اتفاقاً تاماً على أن الموت إنما هو تطور لابد منه لاستمرار

حياة الكائن وإنه تغير فى هيئة الإنسان ، ولكن إلى الأحسن والأكمل .. والأفضل .. وأن فى الموت خير .

فهذا سقراط الفيلسوف الكبير عندما حكم عليه بالموت واقتربت نهايته يقول فى آخر أحاديثه مع تلاميذه (يخطئ من يظن منا أن الموت شر . لنقلب النظر فى الأمر وسنرى أن ثمة بارقة قوية من الأمل تبشر بأن الموت خير : فاحدى إثنتين : إما أن يكون الموت غيبوبة تامة .. وإما أن يكون كما يروى عنه الناس تغيراً وانتقالا للنفس من هذا العالم إلى عالم آخر .. فلو فرضتم فيه إنعدام الشعور وأنه كرقدة النائم الذى لا تزعجه حتى أشباح الرؤوس ففى الموت نفع لا نزاع فيه لأنه لو أتيح للانسان أن يقضى ليلة لا يزعج نعاسه فيها شىء حتى ولا أحلامه ثم قارنها بما سلف فى حياته من ليال وأيام وسئل بعد ذلك: كم يوماً وليلة قضاها بين أحلامه وكانت أبهج من تلك الليلة وأسعد ؟ فلا أحسب أحداً يجد بين أيامه ولياليه كثيراً من أشباهها . فإذا كان الموت كهذا فأنعم به .. وأما إن كان الموت ارتحالا إلى مكان آخر حيث يستقر الموتى جميعاً كما يقال فأى خير يمكن أن يكون أعظم من هذا أيها الأصدقاء والقضاة ! فابتسموا إذن للموت واعلموا علم اليقين أنه يستحيل على الرجل الصالح أن يصاب بسوء لا فى حياته ولا بعد موته

لقد أزفت ساعة الرحيل وسينصرف كل منا إلى سبيله فأنا إلى الموت وأنتم إلى الحياة. . والله وحده عليم بأيهما خير) .

ويعرف علماء علم الحياة الموت بأنه ظاهرة طبيعية لا مفر منها لكل كائن حى وأنه هو الثمن الذى يدفعه الكائن لامتلاكه جسماً وأما ماهيته فهى أنه توقف الحياة الجسدية أو البروتوبلازمية فى الكائن العضوى توقفاً لا رجعة فيه .

ويقول جيته العالم الحكيم (إن الموت هو تدبير الطبيعة المحنك لضمان وفرة الحياة) .

وإذا أردنا القول الفصل والرأى الذى لا يستمع بعده إلى قول رجعنا إلى الدين فنجد أن الإسلام قد أورد حقائق مؤكدة عن الموت واضحة وصريحة لا تحتاج إلى دليل لتأكيدها ولا إلى تأويل لتأييدها وكلها تبين أن الموت ليس عدماً أو فناءً بل ولا كريهاً أو فظيعاً . . فنص الآية الشريفة « اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » إنما تشير إلى أن الموت من النعم التى ينعم الله سبحانه وتعالى بها على الإنسان كخلقه ورزقه وحياته . . فالآية تعدد مظاهر ما أنعم الله به

على الإنسان ولا يحتمل أن يذكر الله فى معرض صور نعمه ما يفيد الفناء أو العدم أو السوء للإنسان . وكذلك الآية الكريمة « كَيفَ تَكفُرونَ باللهِ وَكُنتمُ أمواتاً فأَحياكمُ ثُمَّ يُميتكمُ ثُمَّ يُحييكمْ ثُمَّ إليهِ تُرجَعُونَ » إنما تؤكد أن الموت نعمة للإنسان كنعمة حياته . وأن الموت ليس عدماً بدليل الحياة التى تؤكدها الآية الشريفة بعد الموت وقبل الرجوع إلى الله للحساب أى القيامة .

وتقرر آيات القرآن الكريم الشريفة أن الموت جزء من قانون الحياة وسنة من سننها بنص الآية الكريمة « الَّذِى خلَقَ المَوتَ والحياةَ ليَبلُوكمُ أيكُم أَحسَنُ عَملاً وَهُوَ العزِيزُ الغَفُورُ » .

وبشر الله سبحانه وتعالى به سيدنا عيسى صلى الله عليه وسلم بنص الآية الشريفة « إذ قَالَ اللهُ يا عِيسىَ إنِّى مُتَوَفيكَ وَرَافِعُكَ إلَىَّ وَمُطَهرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِين اتَّبَعُوكَ فوق الَّذِين كَفَرُوا إلَى يَوْمِ القِياَمَةِ » ، والآية عددت النعم التى أنعم الله سبحانه وتعالى بها على سيدنا عيسى

ومنها الموت الذى يعتبر بهذا النص من النعم التى ينعم الله جل شأنه بها على الإنسان .

والدعاء الذى تتضمنه الآية الشريفة « رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِر لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّر عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ » إنما يعنى أن الموت حياة وليس عدماً إذ أن الإنسان بهذا الدعاء يدعو الله سبحانه وتعالى أن يتوفاه مع الأبرار..أى يكون فى معيتهم.والمعية إنما تؤكد الوجود لا العدم .

والأحاديث الشريفة التى تروى عن سيدنا رسول الله عليه وسلم لتؤكد هذه الحقيقة كثيرة مثل حديثه الشريف (القبر روضة من رياض الجنة أوحفرةمن حفر النار) الذى يؤكد أن الموت إنما هو إنتقال من حال إلى آخر.. ومن حياة إلى أخرى ..

وقد اجتهد علماء المسلمين فى أبحاثهم بعد ان تدبروا آيات القرآن الكريم واستمعوا إلى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحثوا ودرسوا فتركوا من خلفهم أروع الكتابات وأصدق الأحاديث عن الموت .

فيقول الإمام الأصفهانى (أن الموت المتعارف الذى هو مفارقة

الروح للبدن هو أحد الأسباب الموصلة للانسان إلى النعيم الأبدى وهو إنتقال من دار إلى دار فهو وإن كان فى الظاهر فناء واضمحلالا فهو فى الحقيقة ولادة ثانية فالموت أى مفارقة الهيكل إذن ضرورى فى كمال الإنسانية ولكون الموت سبباً للإنتقال من حال أوضع إلى حال أشرف وأرفع سماه الله تعالى توفياً وإمساكاً عنده فقال تعالى (اللهُ يَتَوفى الأنفس حِينَ موتِهَا والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموتَ ويرسلُ الأخرى إلى أجلٍ مُسمّى)

ويقول ابن مسكويه (الموت ليس بشىء أكثر من ترك النفس إستعمال آلاتها وهى الأعضاء التى يسمى مجموعها بدناً كما يترك الصانع إستعمال الآلة وأن النفس جوهر غير جسمانى وليست عرضاً وأنها غير قابلة للفساد وأن ذلك الجوهر مفارق لجوهر البدن مباين له كل المباينة بذاته وخواصه وأفعاله وآثاره فإذا فارق البدن على الشريطة التى شرطها من الخير بقى البقاء الذى يخصه ونقى من كدر الطبيعة وسعد السعادة التامة ولا سبيل إلى فنائه وعدمه).

وأما إخوان الصفا فقد أرجعوا خوف الإنسان من الموت وكراهيتهم له إلى أن هذا حتى لا تعلم النفوس أن لها وجوداً خلوا من الأجسام لأنها لو علمت لفارقت أجسادها قبل أن تتم وتكمل وإذا

فارقت أجسادها قبل ذلك بقيت فارغة عطلا بلا فعل أو عمل وأن النفوس الكاملة إذا فارقت أجسادها تكون مشغولة بتأييد النفوس الناقصة المجسدة لكيما تتم هذه وتكمل تلك وتتخلص من حال النقص وتبلغ حال الكمال وترتقى هذه المؤيدة أيضاً إلى حال هى أكمل وأشرف وأعلى وأن إلى ربك المنتهى .

والمؤلفات كثيرة والمجتهدون من العلماء لا تستطيع الصفحات أن تضم حتى أسماءهم ولكن تتفق كل كتاباتهم على أن الموت ليس عدماً . . وأنه حياة ..ولذلك فيجب على الإنسان ألا يكرهه ولا يبغضه. ولكن النفس البشرية تأبى إلا أن تخشى الموت وترهبه وبديهى أن ذلك إنما سيكون لوقت معلوم وأجل محدود يرتفع بعده كره الإنسان للموت عندما ترتفع الحجب المادية عن بصيرة الإنسان ويرى ملامح الحياة الأخرى بل ستنقلب كراهيته للموت فرحة به.. وسيغالب اللحظات الباقية له بين الحياتين يود لو ترك الفانية إلى الباقية .. ويطير من الدار الدنيا إلى الدار الأخرى .

ويخشى الإنسان لحظة الإنتقال لأنه دائماً يربط بين آلام المرض التى يراها على وجه المريض وبين الموت بإعتبار أن لحظة الموت هى لحظة القمة فى الألم .. ونهاية الشدة.. ومنتهى العذاب.. وهذا وهم وباطل لا

لا يقوم على أساس.. فإن تقدم الدراسات واتساع وسائل البحث واهتمام الإنسان بكل ما يتصل به.. جعله يهتم فى دراساته وأبحاثه بلحظات إنتقاله.. وكانت النتيجة أن قام علماء وأطباء بدراسة أحوال المحتضرين والمشرفين على الموت بكافة وسائل الدراسة والبحث وخرجوا بعد التجارب الطويلة العديدة التى دامت عشرات السنين وتمت على آلاف الحالات بنتيجة يرتاح لها قلب الإنسان .

فيقول لستر هوارد برى مدير تحرير مجلة بنسلفانيا الطبية (سوف يبلغ الكتاب أجله يوماً فتموت ، فإذا كنت كمثلنا جميعاً فأكبر الظن أنك تخاف أن تموت لإعتقادك أن الموت كريه . فإن كان ذلك فأنت مخطىء . فالموت ليس كريهاً. والمرء منا يأخذه الموت أخذا رفيقاً كما أخذته سنة النوم مئات المرات. وحسبك أن تعلم أن الموت خلو من الألم.. هكذا يقول الأطباء وهكذا يقول من شارفوا غمرات الموت وهكذا يقول الراحلون وهم فى سكرات الموت وليس ذلك إنكاراً لما يسبق الموت من آلام كلا.. فإن الحشرجة البطيئة التى تصحب التهاب الرئة والفهقة الخانقة التى تكون فى الغرق وكل الآلام التى تأتى مع الأمراض القاتلة والجروح المهلكة إنما هى سطر من الحياة لا من الموت. والجسم إذا ظل يجاهد متشبثاً بالحياة فقد تعتريه بعض الأوجاع المبرحة. والحق هو أن تلك العبارة المخوفة المألوفة التى طال سماعنا لها (فلان يكابد غصص الموت)

قد ملأت قلوب أكثرنا رعباً حتى اعتقد رأياً باطلا هو أن آخر أيامنا في الحياة الدنيا وأول عهد نابالآخرة لا بد أن يكون كريهاً بشعاً)

ويقول السير جيمس جودهرت الطبيب الإنجليزى الذى حرص على دراسة ومشاهـدة كل المحتضرين فى المستشفى الكبيرة التى كان يعمل بها (ليس فى الموت مايفزع من حضـرته الوفاة فإن الحجاب الفاصل بين الدنيا والآخرة لا يعدو أن يكون غمامة رقيقة يخترقها المرء وهو لا يكاد يشعر)

ويقول الدكتور الفرد وستر الأستاذ بجامعة هارفرد (الموت سهل دائماً فى آخره)

والدكتور هرسلى وهو من أشهر المتخصصين فى السرطان يقول عن مرضاه (إن الموت نفسه لا يصحبه شىء من الألم أو من الأوجاع التى يحس بها المرء إحساساً صحيحاً)

وقد سجل العلماء مشاهـدات لبعض من خاضوا معركة الموت ونزل بساحتهم ونجوا بمعجزة.. فالكاتب الصحفى إرفن كب أصيب بنزف فى أحشائه أثناء محاضرة له ونقل إلى المستشفى بين الحياة والموت بل وهو إلى الموت أقرب وقد كتب يقول (وأخيراً عرفت أنى بلغت الحد الفاصل بين

الموت والحياة وعندئذ بدأت قواى تخور وكان ذلك شعوراً آتياً من طبيعة البدن فأحسست أنى أهوى هوياً بطيئاً رفيقاً هيناً فى ظلمات قد أطبقت على . وكان فى هذه الظلمات شيء يفرج عنى بل يغرينى . فلو أنا أسلمت نفسى إليها جملة واحدة لاسترحت ولكنى سلمت أمرى لله غير مبال بحياة أو موت. وأطبقت على الظلمات قبل أن يهجس فى نفسى هاجس يقول (لو رضيت بالرحيل الآن فإنى لجبان إذن ، لأنى سوف أخلف ورائى أشياء لم أنجزها بعد ، وجعلت انتشل نفسى من الغمرة رويداً رويداً وبجهد شديد فقد كنت أجاهد فى سبيل البقاء . ومن الناس من يقشعر قلبه رعباً إذا ذكر الموت فإلى هؤلاء وأمثالهم أقول عن تجربة بعد أن خضت تخوم البرزخ القائم بين الموت والحياة إننا سوف نلقى الموت بلا رهبة ولا كرب وبلا ضجر ولا اشمئزاز وبلا عذاب يبرح بالجسم أو بالعقل . بل سنتبين حين نلقاه أنه تحول مصحوب بالراحة والأمن تحول سرمدى يتم على أرفق وجه وأرحمه)

ويقول جرانت آلن الكاتب الإنجليزى المشهور بعد نجاته من حادث غرق كابد فيه فى سبيل الحياة فترة طويلة (لقد علمت وأستقر فى نفسى أنى مارست المـوت مرة فكان لذلك أكبر الأثر فى قلة

مبالآتى به. والموت كالنوم خلو من الألم ولا يجد المرء فى الموت ألما تضيق به النفس بل الألم الذى يلقاه هو فيما يسبقه من مجاهدة ومن شعور بدنوه ومع ذلك فهذا الألم نفسه أقل مما يحس به المرء حين تكسر له ساق أو يخلع منه ضرس ولم أشعر بدبيب الخوف فى نفسى)

ويحدثنا الكاتب المشهور بروس برتن عن تجربة له مع رجل كهل برح به التهاب الرئة وأظله الموت بظله حتى أشفى على الموت ثم انقشعت غمامة الموت وعاش الرجل فسأله برتن بعد زمن (لقد قال الأطباء يومئذ إنك كنت على شفا الهاوية فكيف كنت تجد نفسك وماذا ساور قلبك ؟ فقال لا شىء البتة ! فما كنت أبالى أمت أم حييت . وكل ما وجدته هو أننى متعب أشد التعب فكنت أقول لنفسى الآن أستطيع أن أنام) .

وقد أجاب المرضى الذين كانوا موضع التجارب التى أجريت فى المستشفيات العامة أو الخاصة بالقول أو بالإشارة -أو بأى طريق اتفق عليه الاطباء معهم .. بأنهم عند نزول الموت اختفت آلامهم تماماً وأن كل ألم للمرض كان يحسونه قد اختفى وهم على عتبة الموت .

ويقرر الطب أن هناك ملاحظات هامة تظهر على الإنسان عندما يبدأ الموت فى زحفه عليه . فأن أول هذه الملاحظات ضعف ضربات

القلب ومن ثم تقل كميات الدم المتجهة إلى المخ فيبدأ الإنسان فى غيبوبة لا يحس فيها بأى ألم وتقل إدراكاته التى تصل إليه عن طريق حواسه فيقل بصره .. ويضعف سمعه. ويفقد القدرة على التمييز والتركيز. وبذلك يعيش فترة خالية تماماً من الآلام ..

وقد كانت لحظة الانتقال موضع دراسة علماء الميتافيزيقا أو ماوراء الطبيعة وكذلك علماء الروحية وقد اجمعت نتائج دراساتهم على أن لحظة الإنتقال إنما هى لحظة لطيفة يهدأ فيها الألم ويبتعد الإنسان عن كل مسببات العذاب وألوانه فيقول عميد البحوث الروحية أرثر فندلاى فى كتابه (على حافة العالم الأثيرى) (الموت كما أنبئت سهل وبسيط كالذهاب إلى النوم ثم التيقظ.. فجسمنا الأثيرى ينسل من جسمنا الفيزيقى حاملا معه العقل ثم نصحو فى هذا الوسط الجديد فنجد أصدقاءنا وذوى قربانا على استعداد لمساعدتنا وإرشادنا فى حياتنا الجديدة فالموت ماهو إلا إنفصال هذا الجسم الأثيرى أو هذا البناء الأثيرى عن الجسم الفيزيقى ويعود الجسم الفيزيقى إلى الأرض أما الجسم الأثيرى وهو الذى يهيمن عليه العقل فيستمر فى تأدية وظائفه فى هذا العالم الاثيرى الذى لا يمكننا إدراكه بحواسنا مادمنا نسكن فى أجسامنا الفيزيقية على الرغم من وجوده داخل العالم الفيزيقى وخارجه)

وتابع بحاث الروحية أبحاثهم عن لحظة الانتقال عن طريق الوسطاء وتحت التجارب المحكمة والاشراف الدقيق والاختبارات الصادقة فاتفقت كلها فى وصف واحد لما يعترى الانسان فى لحظات إنتقاله بما ملخصه أن يبدأ المحتضر يفقد الاحساس بالألم إذ أن الحواس تدخـــل فى دور الغيبوبة ولذلك لا يمكن القول بأن لدى المحتضر من الشعور ما يمكن وصفه .. تبدأ الروح تنفصل عن الأطراف السفلى فيحاول أن يحرك قدميه فلا يستطيع .. بل ولا يمكنه أن يحس بها .. ثم تنفصل الروح عن يديه فيفقد الإحساس بهما والقدرة على تحريكهما . ويمر بخاطـره فى هذه الوقت تفكير سريع فيما ينتظره إذ رأى فعلا شبح الموت . فينتفض لذلك جسمه بشدة ويحس بالظمأ وما ذلك إلا نتيجة الاضطراب لأمر لم يكن قد استعد له شأنه فى ذلك شأن أى إنسان يفاجأ بشىء لم يكن يتوقعه فيجف حلقه ويحس بما يشبه الرعدة.. الروح تنفصل من جزء آخر .. ولا يظل على حالته سوى قلبه الذى ينبض نبضاً خافتاً آليا والمخ الذى مازال يتصل بالروح إتصالا تاماً .. ولكن على إدراك غير إدراكه العادى إذ انخفضت كميات الدم فيه وبالتالى إنخفض مستواه الفكرى بالنسبة للحياة التى لا يحسها ولا يعرفها إلا بحواس الجسد .. بدأت الروح تتغلب على الجسد تغلباً تاما .. فعرفت أنها باقية بعد الموت.. وهنا يختلف

من كان يؤمن بالبقاء بعد الموت..ومن كان يكفر به.. فالأول يسلك طريقاً يعتقده ويتأكد منه ويؤمن به عن طريق الغيب الذى آمن به واستجاب له بالدين..وأما الثانى فإنه يرهبه ويخافه فهو لم يكن مستعداً له.. لأنه كفر به.. ولم يصدق ماجاء عنه..الروح ترى أرواحا ولكنها تظن أنها أحياء لأنها فعلامازلت ترى الأحياء..ووضوح كل من هذين إنما يتناسب مع درجة خروج الروح .. فإن كانت الروح انفصلت إلى أكثر من نصف قوتها رأت الأرواح أوضح مما ترى الأحياء. وإن كان العكس رأت الأحياء أوضح ولذلك فإن المحتضر كثيراً مايتحدث مع الموتى أو يناديهم أو يبتسم لهم. وما الحديث أو النداء أو الابتسام إلا ترجمة لدرجة اتصال الروح بالجسم أو انفصالها ففى الابتسام تكون رؤية الأرواح غير واضحة تماماً .. وفى النداء تكون أكثر وضوحاً إنما هى على بعد.. أما فى الحديث فتكون واضحة وقريبة ومن ثم فقد قربت لحظة الإنتقال .. ثم تنفصل الروح عن أبراج الفهم .. ثم الذاكرة ثم المخ كله وتندفع الروح هائمة إلى عالمها الأوسع والأرحب إلى الحياة الأخرى . ويكون الانتقال قد تم .

وقد جاء فى كتاب الروحية فى التراث الإسلامى أن العلامة أندرو جاكسون قد أورد فى كتابه الفلسفة المنسقة وصفاً لعملية الانتقال

عن طريق وسيط ذى جلاء بصرى فقال (نام الرجل على فراشه يعانى سكرات الموت.. كان موته سريعاً ..ازدادت سالبية الجسد و برده بازدياد الإيجابية والدفء فى الجسم الروحى..و بردت القدمان أولا..وظهر فوق الرأس مباشرة مايصح أن نسميه هالة مغناطيسية. يراها كل ذى جلاء بصرى وهـذه الهالة انبعاث أيثرى ذهبى اللون يختلج وينتفض كأنه يحس ويشعر . وصلت البرودة إلى الركبتين والساعدين ثم أمتدت إلى الوركين وامتد الانبعاث وان لم يرتفع بعد . امتدت البرودة إلى الصدر والجـانبين واقترب الانبعاث من السقف وانقطع تنفس المحتضر وسكن نبضه ثم استطـال ذلك الانبعاث وتشكل بصورة إنسان وبقى متصلا بالمخ.. اختلجت الرأس من الداخل بهزة بطيئة عميقة ولـكنها غير مؤلمة.. فكانت كهزة ماء البحر الضعيف التماوج . أما قوى الرجل الذهنية فظلت سليمة على حين مات كل جزء آخر منه. يصل ما بين هذا الانبعاث الذهنى والمخ خيط دقيق جداً من خيوط الحياة. بدأ على جسم الانبعاث شىء آخر أبيض لامع فى شكل الرأس وبعدئذ ظهـر وجه زاه وبدت بعد ذلك رقبة لطيفه وكتفان جميلان وتلا ذلك بسرعة ظهور بقية أجزاء الجسم حتى القدمين. فإذا الجسم شبح زاه لامـع كله يزداد اصفراره قليلا عن الجسم المادى ولـكنه نسخة طبق

الأصل منه فى جميع تفصيلاته وظل ذلك الخيط الرفيع الدقيق متصلا بالمخ القديم ولم يبق بعد ذلك إلا انفصال هذا العنصر الأثيرى.. ثم أفلت الخيط وتحرر الجسم الروحى وإنطلق.

وبذلك اتفقت آراء العلماء من كافة قطاعات العلم على أن لحظة الإنتقال إنما هى لحظة ينعدم فيها الألم وينتقل فيها الإنسان من عالم إلى آخر ومن حياة إلى أخرى انتقالا سهلا هيناً .. وأن فى لحظة الانتقال يرى الأرواح وقد جاءت تعاونه وتساعده وتحاول أن تبصره بما هو مقبل عليه .

وإذا كان العلم قد وصل فى هذه الأبحاث إلى هذه النتائج فإن الدين قد أوردها سابقاً العلم بعشرات القرون من السنين .

فآيات القرآن الكريم الشريفة تقول عن لحظة الإنتقال : « وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ » والسكرة معناها التخدير .. أى فقد إحساس الجسم بالألم .. فكأن الآية الكريمة تقرر أن للموت تخدير يعطل الإحساس بالألم .

كما يقرر القرآن الكريم أن الموت كالنوم وذلك بنص الآيات الشريفة « وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم

بالنَّهارِ » ، « اللهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوتِها وَالَّتي لَم تَمُتْ فِي مَنامِها فَيُمسِكُ الَّتي قَضَى عَلَيها المَوتَ وَيُرسِلُ الأُخرَى إلى أجَلٍ مُسمًّى » فأطلق على النوم لفظ الوفاة .. كما أطلق نفس اللفظ على الموت ، فهل يا ترى نوم الإنسان فى ليله يعتبر من التعذيب والألم أم أن الإنسان كثيراً ما يبحث عنه ويجد فيه الراحة والمتعة والسلامة بحيث لو تأخر عنه فى موعده أسف وحزن وتألم وتعذب ؟. فكأن الآيات الشريفة إنما تقرر أن الموت كالنوم خلو من الألم والعذاب بل ان فيه الراحة والسعادة .

والمتدبر للآيات الشريفة « فَلَولا إذَا بَلَغَتِ الحُلقُومَ . وَأنتُم حِينَئذٍ تَنظُرُونَ . وَنَحنُ أقرَبُ إليهِ مِنكُم وَلَكِن لا تُبصِرُونَ » . ليجد أنها تشير إلى رحمة الله بالإنسان عند انتقاله وأنها تعلن أن الله سبحانه وتعالى يكون أقرب لروح العبد من أهله وأن هذا القرب إنما هو قرب الرحمة والمعونة والمساعدة . . فأهل المحتضر إنما يلتفون حوله فى محاولة يائسة لدفع الألم عنه ومساعدته فى تخفيف عذابه .. وينظرون ماذا يمكن عمله لمعاونته فالله جل شأنه يقول إنه فى هذه اللحظة هو أقرب إليه فى ذلك من أهله .. الأمر الذى يؤكد سهولة ويسر انتقال الإنسان من حياته الدنيا إلى حياته الأخرى . والآيات

التى تؤكد أن معنى القرب هو الرحمة كثيرة مثل الآية الشريفة: « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ » .

كما أن الآية الكريمة « حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ » إنما تدل على الرفق والرحمة والمساعدة عند الموت .. إذ أن الله جل شأنه رحمة بعباده لم يتركهم عند الموت لأنفسهم بل أرسل رسله للمعاونة والرحمة وإذ تدبرنا الآيات الشريفة التى وردت فيها رسالات الله جل شأنه منسوبة له أى بلفظ رسلنا وجدنا أن كلها إنما هى آيات بر وإحسان ورحمة بالإنسان أو بمن أرسل الله لهم رسله وذلك مثل الآيات الشريفة « وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا » ، « ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ » .

وتقرر آيات القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى قد وكل للإنسان ملك يتوفاه بالنص الكريم « قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ » وقد ورد لفظ الملك فى عشر آيات كلها تدل على عظم شأن الملك وعلى رحمة الله بالإنسان ورعايته له وعنايته به عند الموت إذ أرسل له ملك ومن

الآيات التى ورد فيها لفظ الملك « وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً » ، « وَقَالُوا لولاَ أُنزِلَ عَلَيهِ مَلَكٌ » ، « قُل لاَّ أَقُولُ لَكُم عِندِى خَزَائِنُ اللهِ وَلاَ أَعلَمُ الغَيبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُم إِنِّى مَلَكٌ » الأمر الذى يشير إلى أن الموت إنما يتم بملك . . ولا يطلق لفظ الملك إلا على الخيرين والمساعدين من الملائكة . . .

وتأكيداً لرحمة الله بالإنسان عند موته وحتى يستقر فى نفس العباد أن الموت خير فإن الله سبحانه وتعالى قد أورد فى بعض الآيات الشريفة أنه جل شأنه هو الذى يتوفى عباده وبديهى أن الله سبحانه وتعالى لا يسند إليه إلا الخير ولا يأمر الا به ولا يشاء غيره.. وذلك فى مثل الآيات الشريفة : « وَاللهُ خَلَقَكُم ثُمَّ يَتَوَفَّاكُم وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرذَلِ العُمُرِ » ، « اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوتِهَا » ، « وَلَكِن أَعبُدُ اللهَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم » .

وقد وردت الأحاديث الشريفة عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلها تؤكد رحمة الله بالإنسان عند موته فقد روى أنه قال (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

فقالوا كلنا نكره الموت . قال ليس ذاك بذاك . إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه)

وقد وردت على ألسنة المجتهدين من العلماء الأقوال الكثيرة التى أمكن الوصول إليها عن طريق الدراسة والبحث والتأمل فى آيات الله الكريمة وفى أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ملاحظاتهم لما كانت عليه حال السلف الصالح عند الوفاة فيقول الدباغ فى الإبريز (وهكذا حال أولياء الله تعالى الذين استمر بهم الفتح فإنهم فى زيادة عظيمة فى كل لحظة أبد الآبدين ودهر الداهرين حتى فى حال نزول الموت بهم فإنهم رضى الله عنهم لا يحسون به لأن عقولهم وأرواحهم وذواتهم منقطعة عن غيره تعالى ومن جملة الغير الموت فإنهم لا يشعرون به أصلا)

وإذا استعرضنا حالة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته وجدنا أنه كان يتعجل لقاء الله وأنه وقد استأذن منه ملك الموت ولم يستأذن من قبل ولا من بعد على غيره فقد أذن له وكان لو أراد أن يطلب التأخير ففى السيرة العطرة نجد أنه صلى الله عليه وسلم قال (إن عبداً خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله) وكان ذلك إيذاناً بقرب انتهاء الأجل الدنيوى وقد بكى سيدنا أبو بكر لحظة أن استمع إلى

قول رسول الله هذا.. فلما تزايد عليه صلى الله عليه وسلم المرض ودخل في دور الإنتقال كان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يديه ويقول لا إله إلا الله إن للموت سكرات . فاعتقدت فاطمة رضى الله عنها أنه يكرب للموت فقالت واكرباه لك ياأبتاه فقال لا كرب على أبيك بعد اليوم .وكان ذلك فى المرض ولم يكن عند الموت . قالت عائشه رضى الله عنها وجاء ملك الموت فسلم وأستأذن وقال ماتأمرنا يامحمد قال ألحقنى بربى الآن فقال ملك الموت بلى من يومك هـذا. أما إن ربك إليك مشتاق ولم ينهنى عن الدخول على أحد إلا بإذن..غيرك..ولكن ساعتك أمامك وخرج . قالت وجـاء جبريل فقال السلام عليك يارسول الله هذا آخـر ما أنزل فيه إلى الأرض أبداً طوى الوحى وطويت الدنيا وما كان لى فى الأرض حاجة غيرك ومالى فيها حاجـة إلاحضورك ثم لزوم موقفى . ودخل صلى الله عليه وسلم فى لحظات الإنتقال فـكان يوصى بالصلاة وهو يقول الصلاة الصلاة إنـكم لا تزالون متما سكين ماصليتم جميعاً.. الصلاة.. الصلاة.. فلما بدأت الغيبوبة كان آخر ماقاله بل الرفيق الأعلى..وودع الدنيا والنور يلمع على وجهه.. والطيب يرشح من جبينه والابتسامة لاتفارق شفتيه..وهو يختار مكانه .. وما أرفعه من مكان.وما أعظمه من شأن..الرفيق الأعلى .. فقدشاهد يقيناالطريق

الذى تسلكه روحه الشريفة . . وكأنه يستحث السير . . ويتعجل الانطلاق ليصل إلى مكانه الذى بشرته به الأرواح أولا .. الرفيق الأعلى ..

وما شوهد ويشاهد على المحتضرين ليعتبر من الأدلة الحسية والبراهين العملية على يسر الانتقال من الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى . والفرحة بهذا الانتقال .. فالابتسامة الواضحة . . والهدوء المشرق . . وتحريك الأصبع بشهادة التوحيد .. وماقد يقوله المحتضر .. كل هذا إنما يشاهد فى معظم الحالات التى يتمعن الإنسان فيها فى المحتضر ...

وقد دخل النبى صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك ؟ .. فقال أرجو الله وأخاف ذنوبى .. فقال النبى ما اجتمعا فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذى يرجو وآمنه من الذى يخاف)

ويقول الإمام الغزالى (مرض إعرابى وقيل له وهو يحتضر إنك تموت فقال إلى أين يذهب بى ؟ فقالوا إلى الله .. قال فما كراهيتى أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه)

ويروى أنه لما حضرت سيدنا بلال الوفاة قالت امرأته واحزناه فقال بل واطرباه غداً نلقى الأحبة .. محمد وحزبه . .

ولما حضرت الوفاة عبد الله بن المبارك رفع عينيه وقال (لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ) .

وأما إبراهيم النخعى فقد بكى فقيل مايبكيك قال أنتظر من الله رسولا يبشرنى بالجنة أو النار . وفى سيرة عمر بن عبد العزيز على ماروه الإمام مالك بن أنس وأصحابه رضى الله عنهم عن وفاة سيدنا عمر مانصه (لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة كان عنده مسلمة بن عبد الملك وزوجته فاطمة والخصي فقال قوموا عنى فإنى أرى خلقاً مايزدادون إلا كثرة ماهم بجن ولا إنس .. قال مسلمة فقمنا وتركناه وتنحينا عنه وسمعنا قائلا يقول « تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ) ثم خفت الصوت فقمنا فدخلنا فإذا هو مغمض مسجى . .

وفى دائرة المعارف الإسلامية عن المتصوفة الزاهدة رابعة العدوية أنها حينما حضرتها الوفاة أحاط بها نفر من الصالحين فقالت لهم (انهضوا واخرجوا ودعوا الطريق مفتوحة لرسل الله تعالى) فنهضوا وخرجوا فلما أغلقوا الباب سمعوا صوت رابعة تنطق بالشهادة ثم يجيبها صوت « يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ، وَادْخُلِي جَنَّتِي » .

ملامح الحياة الأخرى

لقد كانت الحياة الأخرى موضع دراسة وبحث العلماء والمفكرين منذ الأزمان الطويلة الغابرة ..وكل ما كتب عنها إنما هو من تصوير الشعراء وخيال الآدباء وفلسفة الحكماء . وقد اختلفت أوصافهم لهذه الحياة الأخرى باختلاف أجيالهم وتباين أفكارهم .. ثم حاول رجال الأديان أن يفسروا ماجاءت به أصولها خاصة بهذه الحياة الأخرى .. وكان لابد أن يكون التفسير بقدر مايقبله عقل البشر .. وهكذا وجدنا العديد من المؤلفات بل وآلاف المجلدات فى مختلف العصور تبحث فى الحياة الأخرى وتحاول جاهدة أن تصور بعض مظاهر الحياة فيها ولكن كان لكل زمان تفسيره .. ولكل عصر تصويره .. وإن اختلفت فى تفاصيل قيام هذه الحياة الأخرى فإنها تتفق أساساً فى وجود هذه الحياة وحقيقتها .

ورجل العلم قد حاول جاهداً أن يطرق هذا الميدان عن طريق أبحاثه العلمية ولكنه لم يجد وسائل البحث بعد .. ولو أنه يعتقد فى قرارة نفسه أنه لا بد سيصل بأبحاثه إلى هذا العالم الآخر .. بعد أن تمكن من إزالة كثير من العقبات التى كانت تقف أمامه .. ومنها تحطيمه للذرة ووصوله إلى أساس الوجود المادى .. والتغير الذى يتم فيه والأسباب التى تجعله غير مادى ألا وهو الإهتزاز .. فقد وصل إلى الحقيقة التى تقرر أن الأصل فى المادة لا كما كان يظن من قبل هو عدد

الذرات الذى إذا تغير تغير شكل المادة . وإنما الأصل هو الاهتزاز . فيقول السير اوليفرلودج أحد رواد علم الطبيعة فى العالم (إن السكون غير موجود . إذ لا توجد قطعة من أية مادة فى حالة سكون فكل المادة متحركة).. وعن طريق تغير هذا الاهتزاز يتم تغير شكل المادة من شكل مادى .. إلى آخر مادى ولكن مختلف .. بل ومن مادى يرى .. إلى غير مادى لا يرى .. وكذلك عرف رجل العلم أن ما بين السماوات والأرض وما بين النجوم ليس كما كان يظن خلاء أو هواء بل مادة أطلق عليها إسم الأثير ويقول عنها كلارك مكسويل من كبار علماء الطبيعة فى العالم (لن تعتبر الآن تلك المناطق الواسعة الكائنة بين الكواكب وبين النجوم أماكن خاوية فى الكون إنها فعلا ملأى بهذا الوسط العجيب وهى من الإمتلاء به بحيث لا تستطيع قوة بشرية أن تقصيه عن أصغر جزء من الفضاء أو أن تحدث أدنى نقص فى اتصاله غير المتناهى) ووصل العلم كذلك إلى الحقيقة التى تقرر أن(الأثير هو حلقة الاتصال الكبرى التى توجد ما بين عالم المادة وعالم الروح وأنه المادة المشتركة بين العالمين وكلاهما محصور داخل هذه المادة وكلاهما جزء منهما وكلاهما مكون منهما والعالمان جزء من كون واحد والحياة فى كليهما مقيدة به) وأن تغيير الاهتزاز الموجود داخل الذرة

هو السبيل إلى الانتقال من العالم المادى إلى العالم الروحى .. أو من العالم المرئى إلى العالم غير المرئى بالنسبة للإنسان الموجود فى الحياة الدنيا .

ولم يتقدم رجل العلم بعد فى أبحاثه عن ذلك فإن هـذا هو آخر وأحدث ما وصل إليه بحثه العلمى التجريبى القياسى المعملى .. إلا أن هناك فئة من رجال العلم قد تابعوا هذه الدراسات عن طريق فرع جديد من العلم أسموه العلم الروحى الحديث أو علم ما وراء الطبيعة واستمرت هـذه الدراسات على أسس علمية منظمة منذ مائة وسبعة عشر عاماً تحديداً .. وتجاوزت النطاق الإقليمى حيث أنها توجد الآن فى معظم دول العالم إن لم تكن فى كلها .. وليس موضع بحثها كما قد يظن فى غرفة مظلمة أو بيت مهدم أو قرية نائية .. بل إن هـذه الدراسات تقوم حالياً فى الجامعات العلمية وفى معامل البحث العلمى .. ولا يقوم بها كما قد يعتقد طلبة استهوتهم طبيعة البحث عن المجهول ولا سحرة يبحثون عن الكسب والمال .. ولا خاملون يسعون إلى المجد والشهرة .. بل أساتذة أجلاء يعتبر الواحد منهم حجة علمية كبرى .. وأقوالهم توضع فى القمة من أصول المراجع العلمية .. ومنهم الأطباء .. وفيهم علماء النفس .. وبينهم أساتذة الكيمياء .. والعدد الوفير منهم من رجال علم الطبيعة وتضم هذه الجماعات المنتشرة فى العالم أساتذة القانون وعمالقة الصحافة

وكبار الكتاب • ورواد الفكر.. بعد أن ترددوا على دور البحث أكثر من مرة.. إما كمحلفين. وإما كنقاد. وإما كمارضين.. فأقنعتهم الظواهر التي وضعت تحت الاختبار العلمي القياسي والتي لا يمكن بعدها أن يرقى إليها أي شك أو ارتياب .

والجهاز الذي استعانوا به في أبحاثهم هو الإنسان نفسه . . فعن طريق ايقاعه في غيبوبة مؤقتة وانطلاق روحه من الجسد بطريق طبيعي كالموسيقى الرنينة المتكررة .. أو الترتيل المنتظم . . أو بطريق صناعي كاستعمال بعض الأقراص الدوائية التي تتخذها الجامعات حالياً والتي تنشط في الإنسان حواساً جديدة .. أمكنهم الاتصال بعالم الأرواح والوقوف على بعض مشاهد الحياة الأخرى . . ولا بد للإنسان أن يتشكك فيما يصل إليه عن هذا الطريق إذ أن الغش والخداع مستطاع بل ميسور .. إذن فما هو الدليل الذي يمكن أن يؤيد صحة ما يقال ؟ . . بل ما هو الرقيب ؟ . . ولو أن الأمر كذلك . . بلا دليل أو رقيب .. ما وضعت آلاف الكتب الحديثة التي تورد هذه الحقائق والتي كتبها عمالقة في العلم . . وقادة في الرأي . . ممن شهد لهم العالم من قبل . . بالدقة والروية . . والإتقان والإجادة . . والصواب . . فالوسطاء الروحيون الذين تستخدمهم الدوائر العلمية في هذه الأبحاث يجرى

لحصهم طبياً بعد وقوعهم فى الغيبوبة فيتخبر إحساسهم بشتى وسائل الاختبار .. ويعتبر غرس الدبوس فى جسم الوسيط إلى أن يصل إلى عظمه .. وكذلك عدم استجابة عينه أو تأثرها بأى مؤثر خارجى من الطرق الأولية لاختبار الوسيط والتأكد من وقوعه فى الغيبوبة .. وتحدث الوسيط الأمريكى الريفى بلغة ألمانية فصيحة تصعب على رجل المستوى العادى الألمانى .. وكتابة الوسيطة الجاهلة لمعادلات النظرية النسبية .. وشرحها .. وتسجيل لهجات اللغة الهيروغليفية على أشرطة بعد كتابتها بيد من لم يسمع حتى بها . . ولم يعرف عنها . . من الاختبارات التى تلجأ إليها الدوائر فى امتحان الوسيط قبل الاستماع إليه . . فالوسيط حتى يستمع إليه . . ويتابع ما يقوله . . تجرى عليه إمتحانات قاسية ويكون موضع تجارب شديدة .. ويقوم كل الحاضرين باختباره وإبعاد كل ما يمكن أن يكون موضع الشبهة . أو يقوم بشأنه الارتياب . . ثم بعد ذلك يستمع إليه .. ويقارن العلماء بين ما يقوله الوسطاء فى مختلف دوائر الدولة الواحدة . . بل ومختلف الدول .. حتى لا توجد شائبة يمكن أن تهدم أساس هذا العلم الجديد . ومن الإمتحانات التى لجأت إليها بعض الدوائر الروحية أخيراً رفع بصمات الوسيط عند حلول الروح التى حضرت ومضاهاتها ببصمات

صاحب الروح قبل موته والتبين من تطابقهما كما حدث لروح السير أوليفر لودج والسير آرثر كونان دويل وآلاف غيرهما .

وكان وصف هؤلاء الوسطاء للعالم الثانى وتصويرهم لمعالم الحيـــاة الأخرى هو أول وصف وصل للإنسان عن طريق العلم .. وقد نجد من يسارع إلى التشكيك فيما جاء بالتقارير المعتمدة المؤكدة حتى بعـــد أن أجمعت على صحتها المحافل العلمية التى تهتم بهذا النوع من الدراسات ولم تختلف فى شأنها دائرة عن أخرى من الدوائر الروحية التى يزيد عددها على عشرات الآلاف فى دول مختلفة من العالم . . ولـكن إذا وجدنا أن ما جاءت به هذه الأبحاث وما أوردته هذه التقارير يطابق ما جاء به الإسلام .. بل إن آيات القرآن الـكريم قد أوردت صراحة هذه الحقائق . . وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة . . وسبق بعض المجتهدين من علماء الإسلام بالقول بما يتفق مع ما جاءت به أبحاث علماء ما وراء الطبيعة وتقارير الدوائر الروحية . . فهل يمكن أن يقام بعد ذلك الشك ؟ أو تثار الشبهة . . ؟ . . أياً كان قدر هذا الشك . . أو قيمة هذه الشبهة ؟ ..

لقد كان أول بحث للدراسات الروحية هو عن وجود العـــالم الروحى .. أو الحياة الأخرى .. فاتفقت الأبحاث كلها على وجود هذا

العالم وجوداً حقيقياً لا ريبة فيه .. فمثلا جاء فى كتاب على حافة العالم الأثيرى للعلامة أرثر فندلاى على لسان الوسطاء (يتخلل دنياكم عالم آخر من مادة فى حالة اهتزاز أعلى من حالة اهتزاز المادة التى تحسون بها أنتم .. والكون كل واحد عظيم .. ولكنكم لا تعرفون منه إلا ما ترونه وتسمعونه وتحسونه .. ولكن توجد عوالم أخرى من مادة ألطف من المادة الفيزيقية مليئة بالحياة ولكنكم لا تشعرون بها أنتم يا أهل الأرض .. ويحيط بعالمكم مستويات مختلفة الكثافة مكونة من سبع كرات كاملة لها سوائلها وأكثفها الماء وهو خاص بالكرة الأولى المكونة من الأرض وسمائها والسوائل الأخرى أقل كثافة من الماء وكل منها عبارة عن كرة داخل أخرى ولكن كل منها وحدة قائمة بذاتها) أى أنه يوجد فى الكون سبع سماوات وسبع أراض ولكنها متداخلة مع بعض تداخلا مطلقاً إذا اعتبرنا الوحدة .. ومنفصلة عن بعضها إذا اعتبرنا الكيفية أو الإهتزاز .. وكل إنسان يحس بالعالم الذى يناسب اهتزازه معه فإذا ما تغيرت درجة اهتزازه اختفى عن معالمه عالمه الذى كان فيه وحل فى عالم آخر يتناسب واهتزازه الجديد وكذلك نجد فى نفس الكتاب النص الآتى (ولقد حصلت على معلومات أخرى تدل على أن العالم الحقيقى يشتمل على سبع كرات متداخلة بعضها مع

بعض ولكل منها مستوى أو سطح ولكل منها جو يبدو كأنه سماء لساكنيها وإذا نحن صوبنا النظر إلى أعلى ونحن فوق الأرض فإننا ربما نطلق أنظارنا خلالها وعلى هذا النحو يطلق القاطنون فى أى مستوى أبصارهم إلى مافوقهم .. وسطح كل كرة صلب بالنسبة لسكانه ولكنهم بالفكر يصلون إلى خفض درجة اهتزازهم فيهبطون من مستوى إلى آخر حتى يصلوا إلى الأرض وقليل منا يدركون أننا ونحن ننظر إلى السماء إنما نطلق النظر إلى خلال مستويات مختلفة الكثافة ستكون يوماً ما مأوى لنا وفيها يقيم الآن أولئك الذين كانوا يوماً ما يعيشون فوق هذه الأرض وهم هناك يمارسون نوعاً من الوجود أنشط وأنفع).. أليست هذه العوالم السبعة بسماواتها وأراضيها قد ذكرها القرآن الكريم صراحة فى بعض سوره فى مثل الآية الشريفة « اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبعَ سَمَاواتٍ وَمِنَ الأَرضِ مِثلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمرُ بَينَهُنَّ لِتَعلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلى كلِّ شيءٍ قَديرٌ وأَنَّ اللهَ قَد أحاطَ بِكلِّ شيءٍ عِلماً » وأما تداخل هذه السماوات والأرض وتطابقها وأنها طرائق للرقى بالانتقال كما يقول العلم الروحى الحديث فإن ذلك هو التفسير الذى يطابق نص الآيات الشريفة مثل الآية

الكريمة « أَلم تروا كيفَ خلقَ اللهُ سبعَ سمٰوات طباقاً »
وحتى يتأكد فى ذهن الإنسان أن السبع سماوات إنما هى طرق
للإرتقاء فإن الآية الشريفة التى أوردت هذا النص تأتى بعد ذكر
الموت إذ تقول الآيات الكريمة « ثُمَّ إنَّكُمْ بعدَ ذَلكَ
لَميِّتونَ . ثُمَّ إنكُمْ يَوْمَ القيامةِ تُبعَثُونَ . وَلَقد
خَلقنا فوقكُمْ سبعَ طرائقَ وَما كُنَّا عن الخلقِ
غافلينَ » .

ويقول القرآن الكريم أيضاً أن العالم الثانى عالم حقيقى بالنسبة
للإنسان بعد انتقاله فهو إن كان عالم الغيب للإنسان فى حياته الدنيا
فسيصبح عالماً مشهوداً منه بعد ذلك بنص مثل الآية الشريفة : « قُل
إنَّ الموتَ الَّذِى تفِرُّونَ منهُ فإنهُ مُلاَقيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إلى عالِم الغيبِ والشَّهادةِ فيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُم
تعمَلُونَ » . . ولذلك نجد أن فى كل الآيات التى يرد فيها ذكر عالم
الغيب والشهادة يسبق الغيب الشهادة.. كما ذكر فيها الموت الذى هو سبيل
انتقال الإنسان إلى هذا العالم .. الذى كان غيباً .. ثم أصبح مشهوداً .
وقد تكرر ذكر العالمين فى القرآن الكريم فى مثل « الحمدُ للهِ
رَبِّ العالَمينَ » ، « تَنزيلٌ مِنْ ربِّ العالَمينَ » . وحتى

يتضح أن من ضمن معانى العالمين عالم الدنيا وعالم الروح نجد الآية الشريفة « سَلاَمٌ عَلى نُوحٍ فِي العَالَمِينَ » أى سلام عليه فى عالم الدنيا وعالم الآخرة .. إذ أن آيات السلام على الأنبياء قد أوردت ما يفيد هذا المعني وإذا كان العلم الروحى الحديث قد أطلق على عالم الحياة الأخرى اسم عالم الروح فقد أطلق القرآن الكريم على هذا العالم اسم البرزخ وذلك بنص الآيات الشريفة : « حتَّى إِذَا جاءَ أَحدُهمُ المَوتُ قَالَ رَبِّ ارجعُونِ. لَعلِّى أَعملُ صَالِحاً فِيماَ تَركتُ كَلاَّ إِنَّها كَلمةٌ هوَ قَائِلُهاَ .وَمِنْ ورَائِهم بَرزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبعَثُونَ » .

وتبدأ ممارسة الإنسان لحياته الأخرى منذ اللحظة التى يتم انتقاله فيها إلى العالم الآخر ..فبمجرد أن تنطلق روحه من الجسد وتتحرر من القيود التى كانت تقيدها به تبدأ فى مزاولة هذه الحياة الأخرى .. وإن أول ما يراه الإنسان عند انتقاله جموع الملائكة ومعها أحباب الإنسان وأقاربه ممن سبقوه إلى العالم الثانى يعاونونه ويساعدونه ليبدأ حياة جديدة قد يضطرب بسبب عدم سابقة إيمانه بها .. وقد يختلط عليه الأمر فيعتقد أنه مازال يحيا حياته الأرضية . . ومن ثم تكون مهمة هؤلاء الملائكة أطول ..فقديصاب المنتقل بحالة من الغيبوبة نتيجة

لتضارب المعرفة التى انتقل بها والحالة التى وجد نفسه عليها . . وتظل الملائكة والأرواح القريبة فى صراع طويل مع الروح محاولة تنظيم اهتزازها وتنشيط معارفها حتى تتلاءم مع الوسط الجديد.. وقد يطول أمد ذلك .. وقد لا يأخذ الأمر شيئاً ..وماذلك الاعلى قدر إيمان الإنسان سابقاً بالحياة الأخرى واستعداده لها..ومعرفته بما سيكون من أمره فيها.. وأول ما يرى الروح جسده .. خاوياً . . فيضطرب وهنا تتدخل الملائكة لتبصره . . وقد يحاول الروح أن يعاون مع من يجهزون جسده لدفنه .. حيث تتولد فيه الرغبة الصادقة للانطلاق الأوسع . . ويجد أن جسده قد يعوقه مؤقتاً . . وفى كتاب برايفت وودج يصف روح انتقل فى الحرب ما وجده أولا فيقول (لقد شعرت بضربة قوية فى عنقى من مدافع الألمان فخررت صريعا وأحسست بأنى خرجت من نفسى ووجدت جواً من الضباب الحالك قد غطى كل صور المحسوسات . . وخفتت الأصوات ونظرت فإذ بجسمى يحمله رفاقى فحاولت مساعدتهم ولكن لم أستطع وتولانى ما يشبه النوم فنمت ثم قمت فلم أجد الجسد ووجدت أخى وكان قد مات قبلى بثلاث سنين ومعه جمع آخر . . يقول لى كنت معك حين مت ولكن الجو الذى أحاط بك كان كالليل الحالك وما ذلك إلا من نسيج عملك وما اتصفت به من خلق وما أحاط بك من العواطف والآراء) .

ويعزو البعض إلى أن الخفة التى تلاحظ على بعض الأجساد أثناء إعدادها للدفن أو السرعة التى تكون عليها الجنازة إنما هى حالات عاونت فيها روح المنتقل إذ أنها تنبهت فور انتقالها وعرفت فساعدت لتنطلق إلى الرحاب الأوسع وفى بعض الحالات تطير الجثة أى تتحرك بسرعة يصبح من العسير على من يحملونها متابعتها إلا بمشقة .

والقرآن الكريم يقرر أن الملائكة تكلم الروح عند انتقالها وتعاونها على فهم حياتها الجديدة بنص مثل الآية الكريمة « الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلاَمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » .. بل حتى الظالمين تساعدهم الملائكة عند الانتقال فتبسط لهم أيديهم ولو أنها تخبرهم بما عملوه وبالتالى سوء الجزاء عليه وذلك بالنص الشريف « وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِى غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلاَئِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ » .

وأخبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه يصلى على الإنسان عند موته وكذلك الملائكة .. والصلاة من الله رحمة ومن الملائكة

استغفار فقد قال صلى الله عليه وسلم عندما قرب حينه (إذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم أخرجوا عنى ساعة . فإن أول من يصلى علىّ الله عز وجل هو الذى يصلى عليكم وملائكته ثم يأذن للملائكة فى الصلاة علىّ فأول من يدخل علىّ من خلق الله ويصلى علىّ جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين ثم أنتم فادخلوا علىّ أفواجاً فصلوا علىّ أفواجاً زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذونى بتزكية ولا صيحة وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتى الأدنى فالأدنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان ويدخلنى القبر زمر من أهل بيتى الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عنى إلى من بعدى) .. أليس هذا تفسير قول الله سبحانه وتعالى « هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً » وأليست هذه الظلمات هى ما يحس به الإنسان عند انتقاله وهو لا يعرف عنها .. فيخرجه الله جل شأنه منها بصلاته عليه وصلاة الملائكة له فيخرج بذلك من الظلمات التى تحيط به على قدر عدم معرفته وإيمانه بهذه الحياة الجديدة .. إلى النور .. فيعرف ويعلم .. وما ذلك إلا رحمة

من الله بعباده ، وقد طلب سيدنا رسول الله أن يُبلغ الناس من بعده بما قال .

وتقول الأرواح أن الروح بعد أن يتم تنشيطها تمضى فترة فيما يشبه العلاج.. فإن الروح تتأثر بما يطرأ على الجسد الأرضى أثناء فترة حياته الدنيا.. فلا بد أن تبرأ من كل ماقد يكون علق بها أثراً عن الجسد . وإن كانت الروح لطفل صغير عولجت حتى تحس أنها تركت مرحلة الطفولة ..والعكس إن كانت الروح لعجوز برئت من آثار العجز والشيخوخة ..وارتدت إلى الإحساس بطور الشباب المكتمل ..وهكذا لو كان بالجسد عاهة أو آثار لمرض طويل .فالأرواح تكون فى حياتها الأخرى مبرأة من كل عيب منزهة عن النقص التكوينى .. وصدق رسول الله صلى عليه وسلم عندما قال لعجوز (لا تدخل الجنة عجوز) أى أنها لن تدخلها فى حالة العجز وقال عن ابنه وقد مات طفلا (إن لإبراهيم لمرضعاً بالجنة)

وبعد ذلك تقوم الروح بعمل سياحات غامة تزور فيها العوالم المختلفة وتستقبل فى كل عالم على حسب درجتها وقدر ماعملته . وتقول الأرواح أن فى بعض الأحيان يحتفل بانتقال العبد الصالح الذى أمضى حياته فى عمل الخير احتفالا كبيراً تحتشد فيه الأرواح فى السماوات

المختلفة ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ..(إذا عرج الملك بروح المؤمن إلى السماء استقبله جـــبريل فى سبعين ألفاً من الملائكة كلهم يأتيه ببشارة من السماء سوى بشارة صاحبه .. فإذا انتهى إلى العرش خر ساجداً فيقول الله عز وجل للملك الموت (انطلق بروح عبدى فضعه فى سدر مخضود وظل ممدود وماء مسكوب) فهل هذه الاحتفالات بأرواح المؤمنين فى السماء تفسر الآية الكريمة التى وردت فى جنود فرعون عند غرقهم والتى تقول (فما بَكَتْ عليهمُ السماءُ والأرضُ وما كانوا مُنظَرينَ)أى هناك موتى تبكى عليهم السماوات وتحتفل بهم الأرض .. وبعد أن تمضى هذه الاحتفالات وترى الروح من آيات ربها تعود لتحيا فى مكانها الذى يتناسب مع حياتها الأرضية وما اكتسبته أثناء هذه الحياة. والحياة الأخرى التى تعيشها الروح بعد الانتقال حياة حقيقية بل إنها لأوضح وأعمق وأرحب من حياتنا الدنيا هذه فقد أجمعت كافة مؤلفات العلم الروحى الحديث على ذلك فمثلا يقول عن ذلك ارثر فندلاى (يشبه العالم الأثيرى فى كثير من الوجوه عالمنا هذا وحواسنا هناك تستجيب كما تستجيب هنا لما يثيرها وأهل ذلك العالم يجدون أنفسهم فى أوساط تكاد تكون شبيهة بأوساطنا هنا . فهناك ينمو الشجر وتينع الزهور ولا يوجد هناك موت لها كالذى نعرفه فالحياة

النباتية كلها بدلا من الذبول تفقد تجسدها وتختفى عن النظر . وعلى حسب أفكار القاطنين هناك تتكون فى الغالب أوساطهم ولذا كانت بيوتهم وكان نسق حياتهم من صنعهم هم أنفسهم . وهذا كما أنبئت لا لا يتضمن أن تكون حالة الحياة الثانية صوراً عقلية بحتة لأن للقاطنين هناك نفس المشاعر التى لنا فهم يحسون بالزهور ويلمسونها ويشمونها وهم يستطيعون جنيها وهم عندما يسيرون فى الحقول يقابلون أصدقاءهم ويتحدثون إليهم ولقد أنبئت أن الذين يقيمون فى مستوى واحد يرون نفس الأشياء ويلمسونها .. توجد هناك مستويات كثيرة ويتمتع المقيمون فى مستوى واحد بقوة حس واحدة . وهناك يسود نشاط عظيم ولكل شخص هناك ذكرا كان أم انثى عمل يؤديه والقاعدتان الخلقيتان السائدتان هناك بدرجة أكبر من سيادتهما هنا هما خدمة الغير ومحبة الغير وتوجد هناك لغة عامة فكل فرد إذن يستطيع التفاهم مع أى فرد آخر وهذه اللغة غريزية . ولا يوجد هناك ليل كالذى نعرفه وضوؤهم لا يجىء من شمسنا. وهم إذا أرادوا هجوعا استطاعوه فى ضوء مخفف لا ظلام كما هى الحال هنا . وإنهم ليأكلون كما نأكل ويشربون كما نشرب ويستمتعون بلذة المأكل والمشرب كما نستمتع نحن ولكن أكلهم وشربهم يختلف عما نفهمه نحن من هاتين الكلمتين وهم أكثر منا تمتعاً

بحرية الحركة وأنهم يستطيعون الإنتقال من مكان إلى آخر بسرعة لا يمكن أن نتصورها .. إن الحياة كلها تبقى .. فالحياة لا تنعدم وفى كل مكان توجد قوة كونية عظيمة أى أنها توجد فى كل شىء وعلى صورة ما من الصور . وإن مدى الحس فى الحياة الدنيا من إبصار أو لمس أو شم أو سمع بالنسبة لمداه فى الحياة الأخرى لمحدود ضيق لأقصى درجة).

وكل ماجاءت به الأرواح أثناء تحضيرها فى مختلف الدوائر بكل بلاد العالم لا يخرج عن مثل هذا الوصف وقد جاء على لسان أحد الأرواح إجابة لاسئلة ضمنتها التقارير الرسمية للمعهد الدولى للبحث الروحى ما نصه (إن عالمنا الذى نعيش فيه هو حقيقى جداً بالنسبة لنا ولكن الحالات التى تغشانا تتوقف على حالة العقل لدينا فإذا أردنا استطعنا أن نكون فى ريف جميل مثلا فعقلنا يلعب فى حياتنا هنا الدور الأكبر وكما إننا نعيش فى أوساط تناسب رقينا العقلى كذلك نجذب إلينا عقولا من نماذج عقولنا لأن فى هذا العالم يجذب الشبيه شبيهه وإذن ينجذب الشبيه إلى شبيهه فى كل من العالمين عالمنا وعالمكم فأهل الشر عندنا ينجذبون إلى أهل الشر فى عالمكم وينجذب الخيرون عندنا بالخيرين عندكم . ونحن نستطيع حسب الإرادة أن نتخذ لأنفسنا الحالات الأرضية وذلك بتخفيض درجة اهتزازاتنا . وكلما علونا وارتقينا قلّ

اتصالنا بعالمكم وكلما زاد هذا الإرتقاء قل تفكيرنا فى الأرض والمسألة كلها مسألة رغبة .. وكل الذين يوجدون فى مستوى واحد يرون ويلمسون نفس الأشياء فإذا نظرنا إلى حقل فهو حقل لكل من ينظر إليه وكل شىء يبدو واحداً لكل الذين يكونون فى حالة رقى عقلى واحد . وليس حلماً أو خيالا ما نحن فيه. كل شىء فى عالمنا حقيقى بالنسبة لنا ونستطيع أن نجلس معاً ونسر باجتماعنا معاً كما هو الحال عندكم على الأرض ولنا عواطف مثلكم ونستطيع أن نتمشى طويلا بين المزارع فنقابل صديقاً لم نكن رأيناه من زمن طويل ونحن نستنشق عبير الزهور ونسيم الحقول ونجمع الزهر فكل شىء هنا ملموس محسوس ويزيد أنه أجمل وأثبت وأقوى من مثيله عندكم على الأرض فلا يذبل الزهر ولا يجدب الحقل بل إن الحياة النباتية حين يقف نموها تختفى لأنها تفقد تجسدها .وبمضى الزمن وبعد أن نبلغ درجة كافية من الارتقاء ننتقل إلى مستوى آخر لا يسهل علينا كما هو الحال الآن أن نعود منه إلى الأرض وهذا هو ما نسميه نحن للموت الثانى وأولئك الذين جرى لهم هذا الموت الثانى يستطيعون العودة إلى مستوانا لزيارتنا ولكننا لا نستطيع أن نصل إليهم فى مستواهم إلا إذا متنا هذا الموت . وبيوتنا التى نعيش فيها نعنى نحن بإنشائها فمنازلكم

أدركتها عقولكم بادىء ذى بدء إدراكا كلياً وبعدئذ جمعتم المادة الفيزيقية لإنشائها على النسق الذى أوحت به إليكم عقولكم أولا .. أما هنا فلنا القدرة على تشكيل المادة الأثيرية حسب مانفكر .. وعلى ذلك فمنازلنا من منتجات عقولنا أيضاً أى إننا نفكر ثم ننشىء والمسألة مسألة اهتزاز فكرى وطالما بقيت هذه الاهتزازات بقى لنا متمثلا ذلك الشىء . والأسرة تتجمع ولكن على أساس غير ما كانت تجتمع فيه على الأرض فلا منافع ولا أحقاد ولا طمع ولا غش .. بل محبة .. محبة لا لانهائية صافية .. ولذلك فإن كل من كان يجمعهم الحب .. والحب الصادق الأكيد يجتمعون مع بعض .. وفى مستوى واحد طالما أن أعمالهم كانت كلها صالحة وبها يعيشون فى درجة واحدة)

وتقول الأرواح عن شخصية الفرد والتطور الذى يقع مانصه (تخيل المطر يتساقط ويتجمع بالتدريج مكوناً قنوات صغيرة وهذه القنوات تتضخم حتى تصير جدولا يصب فى نهر كبير وهذا النهر يجتاز طريقه إلى البحر . فكل فرد يمكن تشبيهه بذرة فى نقطة من ماء المطر وهذه الذرة تستبقى شكلها وشخصيتها خلال هذا الطريق كله من التل إلى البحر وهى لا تفقد شخصيتها حتى وهى فى البحر وكذلك الحال معنا فنحن نسير قدماً إلى الأمام ثم إلى الأمام محتفظين دائماً بشخصيتنا

حتى نتغمر فى خضم من الحس الكامل . وإذ ذاك نصبح جزءاً من القدسية.. والعمل والمحبة وما كان عليه الإنسان فى الدنيا هو الأساس فى قدر وسرعة السير إلى الأمام) .

وقال روح (أنه سار فى طريق وهو يعلم أنه يقوده إلى جهنم ولكنه لا يستطيع الإبتعاد عنه وأن جهنم مستمدة من أفعال الإنسان وجهله وسوء عمله ولقد مرت عليها أحقاب وأزمان حتى اشتد زفيرها ولولا أن ساعدنى ملك لتعذبت عذاباً أشد من الهلاك فى الظلام المخيف وإنى لفى خوف شديد من أن أعود إليها مرة أخرى) .

وقال (إنه رأى جبلا تشع منه أنوار تفيض على كل من حوله ولكن ليس كل واحد يستطيع أن يتحمل هذا النور) وقالت الأرواح أنه توجد بالحياة الأخرى ما أسموه قاعة السكينه تتجلى لمن فيها من الأسرار والعلم الكثير وهذه لمن فهموا نفوسهم وأسلموا أمرهم لله تسليما كاملا ففاضت عليهم فى الدنيا سكينة النفس وكان مقرهم فى الحياة الأخرى هذه القاعة . وقالت الأرواح أن هناك ما أسموه الجزيرة الزرقاء ..وفيها حياة كاملة ولكن يفيض عليها ويغلب اللون الأزرق وقد تكون مكاناً لعلاج الأرواح من أمور معينه ولتعود بعد فترة تقضيها فيها إلى حياة مبرئة من أى إحساس بالمرض . .

ولا تعرف الأرواح شيئاً عما بعد الحياة الأخـرى وعن ظروف وكيفية الحياة فى السماوات الأخـرى . أى فى الطبقات الأعلى . فإن هذا مما تعرفه الأرواح التى انتقلت إليها .. وهـذه لا تجيب عن ذلك إذا ماسألتها الأرواح الموجودة فى الطبقة الأولى ..

وقد اهتمت الدوائر الروحية بالسؤال عن كيف تمضى الأرواح حياتها الأخرى وهل هى فى سكون دائم أو فى عمـل وأى نوع من العمل والهدف منه فـكانت الإجابة الواحدة والمتشابهة فى كل المؤلفات التى وضعت للإجابة على هذا التساؤل فيقول الدكتور ادوين فردريك باوز فى كتابه (ظواهر حجرة تحضير الأرواح) نقلا عن كتاب (قضية لستر كونتمان) أن الروح قالت عن عملها فى الحياة الأخرى (إننى هنا أتابع عملى الذى بدأته وأنا فوق الأرض فى شتى النواحى العلمية ولـكى أتابع بحوثى أغشى باستمرار معملا يحتوى على جميع الوسائل والتسهيلات الـكاملة غير العادية للقيام بإجراء تجاربى ولى مكتبة ملأى بالمراجع الضرورية بالنسبة لنا كتلك المستعملة فوق الأرض بالنسبة لـكم ولى حجرة فيها كل وسائل توضيح الصوت ولدى صور نادرة الجمال وأثاث جميل الرسم والتصميم . ويصعب على جداً أن أحدثـكم عن العمل هنا فى عالم الروح ويكفى أن أقول أن كل واحد قد خص بنصيب منه تبعاً

لدرجة تقدمه وإذا ما وفد إلينا روح من الأرض أو من أى عالم مادى تحتم عليه أن يتعلم كل ما يكون قد أهمل تعلمه فى وجوده السابق لكى ينمى أخلاقه ويصل بها إلى درجة الكمال . وهو سيتألم بقدر ما آلم غيره على الأرض وإذا رزق موهبة عظمى فإنه يصل بها إلى الكمال هنا ولا تنسوا أنه إذا كان لكم موسيقى جميلة أو كانت لكم موهبة أخرى فإن لدينا هنا ما هو أجمل منها وأرق . والموسيقى إحدى القوى المحركة العظمى فى عالمنا ولكن على الرغم من أن المواهب تبلغ هنا أقصى درجات كمالها فإن أقصى ما تعمله الأرواح هنا هو أن تستكمل أنفسها للحياة الأبدية)

وتتفق الأرواح فى أن أهم أعمالها فى الحياة الأخرى هو دراسة الحياة النباتية والحيوانية ومحاولة استكشاف كل ما عجز العقل فى الدنيا عن معرفته ولذلك يكون العلم فى الحياة الدنيا هو الأساس الذى يتابع الروح دراسته عليه .. وكلما ازداد الروح علماً ومعرفة كان ذلك السبيل إلى معونة الغير ومحبتهم ..وكان ذلك سبيل الترقى ويتم العلم والمعرفة عن طريق كافة الحواس التى عرفها الإنسان فى حياته الدنيا ولكن بسرعة مذهلة وعلى نطاق واسع ..وضرب أحد الأرواح المثل الذى قد ينير للإنسان بعض الطريق للفهم فقال لو أن جميع الصور

والروائح والعلوم والفنون والأشكال الموجودة فى دنيا كم جميعاً قد تجمعت كلها وتركزت فى لوحة لا تزيد على حجم اليد فإن وقت المعرفة الذى يأخذه الإنسان للوقوف على مافى هذه اللوحة هو نفس الوقت الذى تعرف فيه الروح فى حياتها الأخرى ما تريد أن تقف عليه من أسرار واسعة وعميقة فى كل الأمور .. ما كان فى الحياة الدنيا وما هو فى الحياة الأخرى .. ففى أقل من اللحظة الزمنية التى نتصورها فى دنيانا هذه يمكن للروح أن ترى وتعرف ما هو فى النجوم والكواكب كلها وكيفية حياة الأحياء فيها .. وتطور الحياة قبلها وما سيكون من أمرها .. بل فى أقل من أصغر وقت يمكن إدراكه يمكن للروح أن ترى ما حدث فى الدنيا منذ بدأت الحياة إلى أن انتقل منها .. وقد ترى ماسيحدث فى الحياة الدنيا .. إلى أن تنتهى .. ولعل الأحلام التى يراها الإنسان فى منامه يمكن أن تقرب إلى أذهاننا قدر وسرعة ماتراه الروح فى حياتها الأخرى .. فالأحلام وهى سياحات تقوم بها الروح وهى ماتزال مرتبطة بالجسد بالحبل الأثيرى مما يجعل حد الإنطلاق مقيداً ترى فيها الروح كثيراً وتسمع طويلا وتتحدث تفصيلا وتسافر بعيداً .. ترتاد أقاصى البلاد وتزور بعيد الآفاق وبالرغم من ذلك فإن الحلم لا يدوم إلا لحظات ... فكيف عندما تطوى

المسافات وينعدم الزمن .. وتنطلق الروح بلا عائق أو قيد .. ؟ ولم يحدث لإنسان أن ارتاد العالم الآخر وهو فى الحياة الدنيا .. إلا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حادث الإسراء والمعراج إلا سياحة انطلاقية لروحه الطاهرة فى الحياة الأخرى .. وفى اللحظات التى لا تكاد تذكر طاف بالسموات كلها ورأى الجنة وعرف من سيكون فيها. وشاهد النار وتبين أهليها . . فقد تحدث صلى الله عليه وسلم عمن رأى فى كل سماء وبشر بعض أصحابه بأنهم من أهل الجنة فقد رأى صورهم بها .. أو عاين منازلهم فيها كما شاهد صلى الله عليه وسلم الحياة منذ بدأت إلى أن تنتهى ورأى لذلك آدم عليه السلام وهو ما زال بين الطين والماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (كنت نبياً وآدم بين الطين والماء) فظن البعض أن هذا الحديث يعنى أنه خلق قبل آدم ولكن الحقيقة أنه كان يقصد أنه شاهد بداية الخلق حيث كان آدم . . مازال بين الطين والماء وكان يومها نبياً وهذا فى الإسراء والمعراج. كل هذا وأكثر منه .. شاهده ورآه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما انطلقت روحه بلا قيود ترتاد العالم الآخر .. فى لحظة لا تكاد تذكر إذ فيها لم يفقد فراشه حرارته .

ولو تدبر الإنسان آيات القرآن الكريم لوجد أنها قد أوردت

نصوصاً تؤكد كل هذه المعانى وأنها تشير إلى كل هذه الحقائق صراحة وبلا لبس ودون أى غموض .. فى بيان سعة أبعاد الحياة الأخرى ووضوح الرؤية واتساع رقعة البصر وعمقه وحـــدته تقول الآيات الشريفة : « لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ » فهل هناك من حدود للمعرفة بعد أن يكشف الغطاء عن الإنسان لينطلق بمعرفته بلا قيود ؟ . . وهل هناك من عوائق للبصر بعد أن يصبح فى قوته و نفاذه كالحديد ؟ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) وماذلك إلا ليعـــلم الإنسان أن كل مايعرفه ويراه فى حياته الدنيا يعتبر كالنوم إذا ماقورن بما يراه ويعرفه فى حياته الأخرى التى تعتبر كاليقظة بالنسبة للنوم .

وأما عن ملامح الحياة الأخرى فإن الآيات التى أوردتها كثيرة مثل الآية الـكريمة « وَلاَ تَحسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحياءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ » وهذه الآية تشير إلى أن كل أرواح الموتى أحياء عند ربهم يرزقون . . فقد كان يظن أن من يقتل لن يـكون شأنه كمن يموت فقد يكون لفصل رأسه أو دق عنقه أو انشطار جسمه أثره فى عدم حياته بعد الموت فالآية الـكريمة إنما

تنفى هـذا الظن وتؤكد الحقيقة القاطعة وهى أن القتـــلى شأنهم كغيرهم أحياء عند ربهم يرزقون وإنما الفارق بين من يقتل فى سبيل الله ومن يموت أو يقتل فى غـير الجهاد لله هو فيما جاءت به الآيات اللاحقة للآية الشريفة وهى « فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ » .

والحقائق التى أوردتها هذه الآيات الـكريمة عن الحياة الأخرى هى أن الموتى أحياء عند ربهم يرزقون وإطلاق الرزق فى الآية إنما يجعله عاماً فى كل نواحى العطاء . . الرزق فى المأكل والمشرب والملبس والمسكن والتنعم والسكينة والهدوء كل هذا وغيره إنما هو من الرزق .. وأن الأرواح تستبشر أى تبشر بعضها البعض وذلك يفيد تلاقى الأموات وتحدثهم وأنها تفرح وتنتظر مقدم من لم يلحقوا بهم من خلفهم وأن الملائـكة تبشرهم بنعم الله وفضله عليهم فى المراحل التاليـة لحياتهم الأخرى فيتحدثون عن ذلك ويستبشرون به أى يذيعونه بينهم .

وأما عن رؤية الجنة والنار فى الحياة الأخرى فإن الآيات الشريفة

« وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ . سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ . وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ » إنما تؤكد رؤية الإنسان للجنة فى حياته الأخرى إذ يقتضى التعريف بها أن يراها الإنسان فلا تتم المعرفة بالوصف فقط . فالجنة سيراها الإنسان فى الحياة الأخرى ويعاينها ويعرفها .. فإذا دخلها بعد انتهاء أجل الحياة الأخرى وقيام الساعة سيكون قد عرفها فيدخلها وذلك بنص الآيات الكريمة . كما أن الآية الكريمة : « النَّارُ يُعرَضُونَ عليها غُدُواً وَعَشِياً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدخِلُوا آلَ فِرعَونَ أَشَدَّ العَذَابِ » تفيد رؤية النار فى الحياة الأخرى وقبل أن تقوم الساعة بل واقتراب الإنسان منها اقتراباً كثيراً ومتكرراً فإن العرض عليها يقتضى الاقتراب والامتحان والمعرفة .

والآيات كثيرة فى القرآن الكريم تفيد قيام الأسر واجتماع الأحبة ولم الشمل فى الحياة الأخرى مثل الآيات الشريفة: « يَاأَيَّتُهَا النَّفسُ المُطمَئِنَّةُ . إرجِعِى إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرضِيَةً . فَادخُلِى فِى عِبَادِى. وَادخُلِى جَنَّتِى » .. فهى تقرر أن الأرواح بعد الموت تدخل فى عباد الله أى تكون معهم وهذا قبل دخول الجنة أى قبل القيامة كما تفيد علاوة على ذلك إنها ستكون فى حالة

كاملة من الرضا . . ترضى بما ترى . . ويرضى بها غيرها . . وكذلك الآية الكريمة « وَمَن يُطِعِ اللهَ والرَّسُولَ فأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللهُ عَلَيهِم مِّنَ النَّبِيينَ وَالصِّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً » تفيد اجتماع الأرواح الطاهرة البارة الصالحة وقد نزلت هذه الآية عندما جاء رجل من الأنصار وهو يبكى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى : ما يبكيك ؟ .. فقال يا نبى الله . . والله الذى لا إله إلا هو لأنت أحب إلىَّ من أهلى ومالى..والله الذى لا إله إلا هو لأنت أحب إلىَّ من نفسى وأنا أذكرك أنا وأهلى فأشتاق حتى أراك فتذكرت موتك وموتى .. فعرفت أنك ترفع فى النبيين وأنى إن دخلت الجنة كنت فى منزل أدنى من منزلك . . فلم يرد النبى صلى الله عليه وسلم حتى نزل قول الله الكريم فى الآية الشريفة والتى تؤكد معية الإنسان بعد الموت مع من يحب لمن هم على مستواه . . والآية الكريمة : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتهُمْ ذُرِيَّتَهُمْ بإيمَانٍ أَلحَقنَا بِهِم ذُرِيَّتَهُمْ » تؤكد اجتماع الأسر بكل أفرادها طالما كانوا على درجة واحدة من الصلاح ولا يفرق بينهم عمل سىء يجعل من اقترفوه فى مكان آخر جزاء ما عملوا . . والآية تفيد أن هذا الاجتماع إنما بعد الموت أى فى

الحياة الأخرى فإن الإلحاق يقتضى التتابع وهذا يتم بالموت . . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (أنت مع من أحببت) عندما سئل هل يمكن رؤيته والتمتع بحديثه بعد الموت .

وما قالته الأرواح عن انتقال الروح من المستوى الأول إلى الثانى والذى يتم بالموت الثانى والذى لاموت بعده قد يكون فيه التفسير للآيات الشريفة التى ورد فيها ذكر الموت الثانى وذلك مثل الآية الكريمة : « قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ » . والموتتان هما الموتة الأولى التى ينتقل فيها الإنسان إلى الحياة الأخرى والثانية هى التى تنتقل فيها الروح من المستوى الأول إلى ما فوقه . . والحياتان هما الحياة الدنيا أى الحياة فى عالم الشهادة . والحياة الأخرى أى الحياة فى عالم الغيب .. وهذا كله قبل القيامة . إذ يقول الذين كفروا بنص الآية فهل إلى خروج من سبيل .. أى خروج إلى الدنيا ليعملوا فيها بلا ذنب .. فيوم القيامة لا توجد أرض أو سماء أو دنيا أو ما يمكن أن يقول معه الكافرون بالخروج للعمل مرة أخرى بدون ذنوب .. بل إن القرآن الكريم ليقرر كفر من يقول بالموتة الواحدة الأولى فقط كمن يكفر بالبعث إذ تقول الآية الكريمة عن لسان آل فرعون :

(إن هِىَ إلاَّ مَوتَتُنا الأولَى وَمَا نحنُ بِمُنشَرِينَ) وتقرر ضمناً وجود موتة غير الموتة الأولى .

والترقى الذى تنتقل به الروح إلى المستويات الأعلى بديهى أنه يتم عن طريق العمل الذى تقوم به الروح بعد انتقالها إلى الحياة الأخرى وتشير الآيات إلى أن هذا العمل هو استمرار لما كان يقوم به الإنسان فى حياته الدنيا وفى ذلك تقول الآية الشريفة « وَمَن كَانَ فِى هَذِهِ أَعمَى فهو فى الآخرة أَعمى وأضل سبيلا » ولذلك كان لابد أن ينتقل الإنسان وهو مرتبط بالأعمال الصالحة .. عامل على مافيه الخير كل الخير .. بل الخير المطلق .. ولذلك يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (الأرواح تلج مكاناً ألفته وتلزم عملا عرفته) .

وترتقى الأرواح بعملها فى الحياة الأخرى من سماء إلى غيرها .. وتقرر آيات القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى قد خلق سبع طرائق فوق الإنسان أى سبع مستويات فوق مستوى الإنسان العادى وذلك بالنص الكريم « وَلَقَد خَلَقنا فَوقَكُمْ سَبعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَن الخَلقِ غَافِلِينَ » . وقد فسر بعض العلماء الآيات الكريمة : « والنَّازِعَاتِ غَرقاً . والنَّاشِطاتِ

نَشْطاً . وَالسَّابِحَاتِ سَبحاً . فَالسَّابِقَاتِ سَبقاً . فَالمُدَبِّرَاتِ أَمراً » أنها قسم بحال النفوس فى مراحاها المختلفة بعد الحياة الأخرى وقد تكون الروح فى أول انتقالها تريد أن تنتزع نفسها من بحار الظلمات التى تتهيأ لها أنها كالغريقة فيها . ثم تنشط الروح حتى تعرف مقرها وتهديها الملائكة .. ثم تطوف بأرجاء المعرفة وتحلق فى أجواء العلم وتسبح فى ذلك فى يسر وسهولة .. وتتبارى بعد ذلك الأرواح بالعمل وكأنها تتسابق فيه .. ثم ترتفع إلى مكانة عليا .. مع الملائكة حيث تصبح فى مكان تدبير الأمور . .

وتظل الأرواح ترتقى وتقترب حتى يفيض عليها النور فهل أصبحت عند ذلك جزء من النور إن آيات القرآن الكريم قد أوردت صراحة مايؤيد هذا الرأى فى النص الشريف « يَوْمَ تَرَى المُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ يَسعَى نُورُهُمْ بَينَ أَيدِيهِم وَبِأَيمَانِهِم » . . بل إن غيرهم يطالبون منهم أن ينظروا إليهم ليقتبسوا من نورهم وهذا دليل على أن ذلك قبل يوم القيامة فلم يدخل هؤلاء الجنة .. ولم يدخل هؤلاء النار .. وذلك بالنص الشريف « يَوْمَ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقتَبِس مِنْ نُورِكُمْ » .

وتستمر الأرواح فى تلقى المزيد من النور . . وهنا يقف القلم ويتعطل الخيال ويخفت الصوت . . فماذا بعد؟ .. إنه الدعاء الكريم الواسع .. ربنا أتمم لنا نورنا . . وذلك بنص الآية الشريفة : « يَوْمَ لاَ يُخزِى اللهُ النَّبِىَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسعَى بَينَ أَيْدِيهِمْ وَبأَيمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ على كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ » .

فمتى وكيف يتم النور ؟ . .

هذه بعض ملامح الحياة الأخرى وصدق الله العظيم الذى يقول عنها .

« وَمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنيَا إلاَّ لَهوٌ وَلَعِبٌ وَإنَّ الدارَ الآخِرَةَ لَهِىَ الحَيَوانُ لَوكَانُوا يَعلَمُونَ » .

مالايجوز
ومايجب

لا شك أنه يوجد عدد كبير من أبناء هذا الجيل قد لمسوا بأنفسهم وشهدوا بأعينهم مدى الإسراف الكبير الذى كان عليه مجتمعنا فى مناسبات الوفيات والمغالاة المقصودة وغير المعقولة التى كانت طابع الجنازات لفترة طويلة .. فكان إذا ما أصاب أى فرد ما لا بد أن يصيبه وانتقل إلى الحياة الأخرى كما لا بد أن ينتقل كل حى .. تجتمع الأسرة وتبدأ إتصالاتها بكل من تستطيع أن تصل إليه وسائل الاتصال بكافة أنواعها .ويبقى الجسد بين أهل صاحبه يوماً أو بعض يوم وأحياناً أكثر من يوم حتى يجتمع أكبر حشد ممكن .. بالرغم مما فى ذلك من الإرهاق الذى لا حد له لأعصاب الأهل والمحبين وطول فترة الفزع والجزع إذ يرى المرء عزيزه جسداً بلا حراك فى مكانه المعهود وتسير الحياة من حوله كما كانت قوية صاخبة ولا يستطيع رغم وجود هيكل هذا العزيز عليه أن يدفع عنه هذا السكون الموحش وهذا الصمت البغيض وهذا الهدوء الرهيب . وكلما دخل المنزل قريب عائد ... أو غريب زائر .. أو مجامل عابر .. وما أكثرهم فى هذه المناسبات .. ارتفعت الآهات .. وتصايحت النساء .. وتبادل الموجودون كل ما يثير الشجون من عبارات وما يبعث الحزن والأسى من كلمات .. ويستمر ذلك طوال المدة التى يحتجز فيها الجسد إلى أن يجد الأهل أنه قد تجمع العدد الذى قد يكون موضع المباهاة والافتخار ..والمقارنة بين المتحدثين

والسمار ولا بد أن يأخذ ذلك وقتاً ما .. ليس بالقصير يقينا . وعندئذ فقط تفك القيود التى حجزت الميت عن دفنه طوال هذه المدة ويسمح لهذا الجسدالذى قد تكون دبت فيه عوامل الإفناء أوظهر عليه مايثير الإنكار وأقلها تغير الشكل أو انبعاج الجسد أو انبعاث رائحة . . الأمر الذى قد يؤذى الموجودين ويحرج الأهل والمحبين . . ولذلك فإن الإسلام يدعوا إلى سرعة دفن الميت طالما تحقق الإنسان من الموت وذلك عملا بنص الآية الشريفة (ثُمَّ أماتهُ فأقبرهُ) والفاء تفيد الترتيب والتعقيب المباشر فلو أن التراخى مطلوب لاستعمل ثم بدلا من الفاء فلو كانت الآية الكريمة ثم أقبره لكانت تفيد وجود فاصل وقتى بين الموت والدفن فالآية الشريفة بذلك تفيد السرعة بالدفن وهو مايحرص المسلمون عليه كما يتردد بينهم القول أن من إكرام الميت سرعة دفنه وما ذلك إلا لتنطلق الروح مسرعة إلى حياتها الأخـرى لتحيا وترى وتعمل ..

وكانت تخرج الجنازةمن سرادق لا بد أن يتسع لعدد خفير من الناس ولو لم يكن من المتوقع أن يكون فيه إلا قلة بسيطة وتبدأ الجنازة بطائفة من الرجال تسير فى صفين متوازين وقد التف وسط الرجل منهم بقطعة من قماش مخطط ومزركش فى صورة مربعات صفراء

وخضراء وحمراء ولم يعرف حتى الآن السر فى ذلك ولا إلى أى شىء يرمزون أو دورهم الذى يلعبون .. ثم طائفة أخرى كسابقتهم إلا أنهم يحملون المباخر وطائفة أخرى بعد ذلك تحمل أوعية فضية ذات فتحات رفيعة أغلب الظن أنها بها ماء معطر ثم جماعة أخرى تحمل الزهور والورود وأحياناً يتبع ذلك فرقة موسيقية وكل هاته الطوائف مأجور رجالها ويدفع الأجر على حسب العدد المطلوب الإشتراك به فى الجنازة .. وكان لا بد أن تسير الجنازة ومن خلفها المشيعون من منزلها حيث بدأت إلى المدفن حيث كان .. وتستمر هذه الرحلة بضعة ساعات ومن النادر أن تقل عن ذلك .. وقد يكون بين المشيعين المريض الذى يضره السير .. أوالمسافر الذى تجهده المتابعة .. أوالعجوز الذى يرهقه هذا الأمر .. أو الشاب المرهق الذى تضنيه كثرة الحركة أو صاحب العمل الذى قد يؤذيه طول مدة تخلفه عن عمله .. وينتفى بذلك الهدف من تشييع الجنازة فالمشيعون غير منتبهين للموعظة .. ولا هم متذكرون للعبرة..ولاهم مترحمون مستغفرون لصاحبها .. بل كل فى أسفه وألمه على مجهود شاق يكاد يضيق به فما أن يدفن الميت حتى تحس بالراحة تسرى بين جمهرة المشيعين لانتهاء هذه المشقة التى أصابتهم لاشك بإرهاق وتعب ..

وكان لا بد لهذا الجمع أن يحتشد مرة أخرى فى السرادق مع الجموع التى لم تستطع الإشتراك فى الجنازة .. وكان لابد من محاولة البقاء لأطول مدة توكيداً لحسن العلاقة بين المعزين وأهل الميت. ويدور الساقى بالقهوة وتمر صناديق الدخان . فإذا حان موعد العشاء لا بد من تناوله .. وبديهى لن يكون ذلك على دفعة واحدة بل على دفعات متوالية .. ولا بد أن يكون الطعام من خير مايقدم وأحسنه . . ومن إعداد أسماء كانت معروفة لهذه الظروف . . ويتناوب قراء القرآن الكريم ولا بد أن يكونوا من مشاهيرهم .. وتتعالى صيحات الإعجاب والإستحسان . ولا يعطى لمجلس القرآن الكريم حقه من إنصات وتدبر . . وقد يكون بجوار المنزل من الناحية الأخرى سرادق آخر للنساء أو يكتفى بحجرات المنزل جميعها تخصص لهن .. وتدوم هذه الحال ثلاث ليال فى المتوسط أو سبع فى حالات الثراء . . ويخرج أهل الميت بعد هذه الأيام وقد أنفقوا خير مالهم فيما لا طائل من ورائه .. أو استدانوا ليظهروا بمظاهر زائفة لا تعود على الميت بأى ثواب .. ولا يقرهم عليه عقل أو دين بل إنهم ليعترفون أن ذلك بعيد عن الصواب .. كل البعد .. ويظل أهل الميت لفترة طويلة فى أثر هذه الإنفاق يعانون نتائجه .. ويحاولون معالجة أبوابه ..

وقد أقلعت والحمد لله غالبية مجتمعنا الحديث عن مثل هذه العادات الضارة التى ثبت بالدليل فسادها واقتنع الناس ببعدها عن الحق والعقل والدين .. فالإسلام ينهى عن الإسراف فى كل شىء .. وما كان يتبع إنما هو إسراف فى المال .. وإسراف فى الجهد .. وإسراف فى المشقة إسراف وأى إسراف .. ولا يصل من ذلك للميت شىء .. أى شىء فاختفت منذ حوالى عشرين عاماً الطوائف التى كانت تستأجر للسير أمام الجنازات ثم اقتصرت ليالى للمأتم على ليلة وأقصاها ثلاث . ثم منذ عشرة أعوام بدأ المجتمع يفـكر بالعقلية الواعية ويبحث ما كان يتصرف به الأجداد والأباء وطابق ذلك على ظروف المجتمع .. وتطور الحياة فاختصر تشيع الجنازة وأصبحت مقصورة على السير من المنزل إلى أقرب مسجد .. والبعض بدأ يكون أكثر واقعية فلا يرهق الناس بالسير فاقتصر على تقبل العزاء فى المسجد حيث يصلى على الميت .. فينقل الجسد من المنزل إلى المسجد للصلاة ويتقبل العزاء فيه ثم ينقل إلى المدفن .. وبدأت تقل سرادقات العزاء حتى أصبحت قلة نادرة .. بعد أن تبين أن طول الوقت الذى لا بد أن يمضيه الناس فى السرادق يدفعهم إلى تجاذب الحديث عن شئون الدنيا أو التحدث عن المصالح والأعراض الدنيوية .. وإن عاجلا أو آجلا لا بد ستختفى هذه المظاهر

بعد أن ثبت بعدها عما يجب أن تكون عليه حالات الموت . . ومنع العزاء للسيدات فى كثير من حالات الوفيات حتى يصبح للموت حرمته .. وتسنح الفرصة لكل من سمع به أن يعتبر ويتعظ وهو بعيد عن المشقة التى تؤثر على حالته أو التعب الذى يصرفه عن التدبر . . ويستطيع أن يقوم بواجب العزاء بالطريقة التى لا ترهقه وفى الوقت الذى يستطيعه فيه بلا مشقة .. وتتوافر بذلك ما يمكن التصدق بجزء منه .. وبذلك تتاح للميت فرصة أكبر للثواب والرحمة إذا أراد الله .. فإن الصدقة تؤدى للميت يقيناً أفضل وأقرب إلى الثواب من سرادق كبير يقام ويفرش بأحسن المقاعد ويستأجر له مشاهير القراء فإن تكاليف ذلك كفيلة إن تغير مجرى حياة أسرة كبيرة فقيرة .بل أن أى جزء منها كفيل بذلك فبجزء يسير منها قد يتعالج رب أسرة يستطيع بعده الإنفاق على أسرته.. وبجزء آخر يمكن تربيه عدة أولاد أيتام طوال مراحل التعليم فيحملون تبعة الإنفاق على أسرهم مستقبلا..وبجزء أخر يمكن تكوين رأس مال لأسرة تعيش من ناتجه طوال حياتها .. فما أبعد الفارق بين التصرفين ..إنفاق هذا المبلغ فى سرادق سيزول برفعه أثره .. والتصدق به فى بر سيدوم أجره وما أبعد الفارق بين العملين.. فأما فى الأول فالجزاء هو جزاء الإسراف

فى مال أنفق فى غير محله .. ولو كان أهل الميت فى حاجة إليه فالعقاب كل العقاب على من أنفقه فى هذا الأمر .. وأما فى الثانى فالأجر أجر الصدقة الجارية التى يكتب بها حسنات قد تستمر وتتضاعف إلى ماشاء الله .

وإذا كان مجتمعنا قد إنصرف عن إقامة هذه السرادقات فيما عدا قلة من أفراده هى فى طريق الإقلاع أيضاً عنها .. فإنه مازالت توجد فى فى مجتمعنا بدع شائعة .. وعادات سارية . لا تطابق العقل ولا تتمشى مع المنطق ولا يقرهـا الدين أى دين .. بل يناهضها وينهى عنها .. وأنها لأمور لا تجوز ..

فمن العادات التى مازالت فاشية فى بعض أوساط مجتمعنا .. إجتماع النساء للعـزاء فى منزل المتوفى لبضعة أيام . . والتبارى فى البكاء أو النحيب أو الصياح .. ولو عـرف الناس قدر الذنب الذى يرتـكبونه وهم لا يستنكرون هـذا العويل والبكاء لحاربوه .. ولو علمت النساء قدر حسابهن عليه لمنعنه .. ولو فهم أهل المتوفى الحقيقة لأسفوا وندموا فإنهم بالبكاء عليه إنما يعذبونه .. والإسلام ينهى عن ذلك نهياً قاطعاً وصريحا .. فعندما جاءت النساء تبايع سيدنا رسول

الله صلى الله عليه وسلم على ألا يشركن بالله ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينه فى معروف وذلك امتثالا للآية الشريفة : « يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » . . قالت امرأة منهن ما هذا المعروف الذى لا ينبغى أن نعصيك فيه يارسول الله قال لا تنحن . . فالقرآن الكريم يقرر أن منع البكاء على الميت والنواح عليه واحد من ستة أمور كان لابد أن تبايع النساء الرسول عليها . . وجعله مع الشرك بالله والسرقة والزنا والقتل والمعاصى . . وعن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية) ودعوى أهل الجاهلية هى نواحهم على موتاهم وندبهم . . وهذا الحديث الشريف يقطع بأن المرأة التى تلطم الخدود أو تشق الرداء إظهاراً للحزن أو تندب الميت . . ليست من أمة الإسلام . . وكذلك الرجل الذى يفعل ذلك أو يقبله أو يراه

ولا يمنعه .. وأما أثر البكاء والنواح على الميت نفسه فقد روى البخارى ومسلم والنسفى أنه لما أصيب عمر رضى الله عنه دخل صهيب رضى الله عنه يبكى ويقول وا أخاه فقال عمر : أما علمت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) وفى رواية أخرى (إن الميت ليعذب ببكاء الحى) .

ومن العادات التى يجب على الإنسان أن يعيد النظر فيها زيارة القبور فى أيام معلومة ومواسم محددة حتى تصبح الطرق إلى هـــذه القبور وقد تعذر المرور فيها .. تختلط الجماعات فيها .. اختلاطاً شائـكا وتعم الفوضى وينعدم الهدف الذى يمكن تحققه من مشاهدة أى قبر .. والزيارة إن كانت للاتعاظ والتبصر فنعم الأمر وفى هذا يكتفى بزيارة أى قبر وفى أى وقت .. وأما شد الرحال إلى قبر بعينه وفى يوم محدد ولتوزيع أصناف معينة كما هو متبع حالياً بين الغالبية فأمر لا يقره العقل ولا يتفق مع تعاليم الإسلام وهدى رسوله الـكريم .. فقد نهى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيارة المقابر لهذا السبب . . وحرصاً على كرامة الموت .. وشعور الأحياء .. وحياء النساء وبعد أن تخلق المسلمون بأخلاق الإسلام وتطبعوا بطباعه واهتدوا بهدى رسوله . . أباح لهم زيارتها للاتعاظ والتدبر فقال صلى الله عليه وسلم (كنت قد

نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها) وذلك بعد أن عاب القرآن الكريم على العرب ما كانوا يقومون به من زيارات للمقابر للافتخار والتباهي وإحصاء ساكنيها وعد زائريها بالنص الكريم « أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ » . . وبذلك فإن زيارة المقابر كما تقوم بها الغالبية والمبيت فيها وما يتبع ذلك من إختلاط بغيض وإتصال غير واجب والصياح والجلبة وإعداد الطعام والشراب وقضاء الحاجات كل ذلك إنما هو أمر بعيد وبعيد جداً عن الهدف من الوقوف أمام قبر ضم من كان يوماً ملؤه الحياة . وكان ملء السمع والبصر . . فأصبح جسده فيه لا أكثر من حفنة من تراب . . قد اختلط بتراب الأرض . . والأيام التي أصبحت متداولة بين الناس للزيارة لا يعرف سرها . . فإذا ما علمنا أن الميت بإنتقاله إلى الحياة الأخرى لم يعد يعيش في عالمنا الأرضي . فلم تعد تشرق عليه الشمس وتغرب ولم يعد القمر يهل عليه ثم يغيب . . أي أنه لم يعد يعيش في أيام كأيامنا هذه . . تشرق عليه الشمس وتغيب فينقضي عليه يوم . . فالله وحده أعلم بمدى اليوم الذي يعيش فيه . . وهل هو متغير متجدد . . وما مداه . .؟ . . أم هو يومه فلا يتغير شأنه منذ أن انتقل ولا ينتهي إلا بالقيامة ؟ . . فلا خميس إذاً . . ولا جمعة عند الموتى . . بل إن الخميس هنا . . قد يقابله

جمعة .. فى جزء من قارة أخرى من الأرض .. بينما يقابله أربعاء فى جزء آخر من قارة أخرى من الأرض .. فعلى أى خميس إذاً .. أو أى جمعة تكون الزيارة ؟ .. وما سر يوم الخميس أو الجمعة .. ثم هذه للواسم والأعياد .. لماذا نجبر الأحياء على الإحتفال بها فى القبور وبين الموتى ؟. ومن عجب أن الإنسان لو تدبر وتأمل وتفكر لوجد أن أهل المتوفى يداومون على زيارة القبر لوقت أو بعضه وبعده يصبحون هم موضع الزيارة بعد انتقالهم وينصرف الزوار عن السابقين إلى اللاحقين .. ثم تتغير القبور وتختلط الأجساد .. وينسى الناس أجدادهم بل لا يعرفون يقيناً أين آثارهم ؟.. وأين بقاياهم ؟.. فكأن ما يقوم به الناس إنما هى عملية وقتية سرعان ما تندثر .. فلماذا إذا نحرص عليها ونتمسك بها ؟.. فهل منا من زار قبر جدوده السابقين ؟.. بل أين قبر آدم ..؟.. وأولاده ..؟.. وهل يا ترى هذه المساحة الصغيرة من الأرض فى كل بلد هى قبر كل من دفن فيها من يوم أن مات فيها أول ميت .. وهل هذه القبور الموجودة على وجه الأرض تضم ملايين اللايين من الأجساد التى دفنت .. يقيناً لا .. فالأجيال تتعاقب .. والأجساد تتحلل .. والتراب يختلط .. ويسير فى دورة أخرى من دورات الحياة .. ولماذا أيضاً

يبلغ بنا سوء الظن بأحبابنا الذين فقدناهم وأولادنا الذين شيعناهم فنعتقد أنهم محبوسون فى هذه الحفرة الضيقة المظلمة الكئيبة الرهيبة .. بينما هم فى الواقع فى حياة أسعد وأرحب وأجمل . . وأما توزيع أصناف معينة لابد منها عند القبر كالفطائر والفاكهة لاسيما ما كان يحبها الميت فإنما هى بدعة ترجع إلى الفراعنة بل إن ذبح ماشية تحت النعش إنما هى جزء من الاحتفال الفرعونى بالموت وتحت عنوان (القرابين التى تقدم للمتوفى) كتب العالم الأثرى المرحوم سليم حسن فى تاريخ الحضارة المصرية (لقد دلت البحوث العلمية من أقدم عصور ماقبل التاريخ حتى نهاية العهد الإغريقى الرومانى فى مصر على أن تزويد الموتى بالطعام والشراب كان من أهم الأمور له ، وذلك لأنه كان يعتقد فى حياة أخرى ، ومن ثم كان برأسرته به من هذه الناحية يظهر ما كانوا يكنون له من حب واحترام وقد كان لابد من تقديم هذه القرابين يومياً للمتوفى كما فى الحياة الدنيا وسبب ذلك أن المصرى كان يعتقد أن قرينه (كا) لا ينضم إليه فى قبره إلا إذا مد بالطعام والشراب . . ولقد كان من الطبيعي أن يقوم بهذه المهمة ابنه الأكبر . . وقد كان قيام الابن الأكبر بتقديم القربان لوالده يعد المثل الأعلى فى البر والإحسان ، غير أن الابن إذا أهمل فى ذلك فإن أوخم العواقب تصيب

والده المتوفى فى حياته الآخرة ومن ثم ظهرت الحاجة لإيجاد حل يضمن للمتوفى تقديم طعامه الذى لابد منه فى عالم الآخرة ولم تعد القرابين مظهراً من مظاهر البر البنوى بل تطورت وأصبحت مهنة يقوم بها كهنة جنازيون وغالباً كان العظماء يقفون جزءاً من أملاكهم لهذا الغرض وهو ما يطلق عليه بيت الأبدية) . . فكأننا نقوم بما كان يقوم به الفراعنة من تقديم الطعام على القبر . . بل حتى وقف الإنسان لجزء من أملاكه على خدمة قبره إنما هى عادة ابتدعها الفراعنة للاطمئنان على مداومة تقديم الطعام للميت عند قبره . . وإلا يا ترى ما هو الهدف من تقديم نوع معين من الفاكهة أو صنف محدد من الطعام كان يحبه المتوفى لتوزيعه عند القبر . . وعند القبر فقط وتحديداً . . !! بديهى أننا نعلم جميعاً أن كل ما يحرص أهل الميت على توزيعه عند القبر لا يصل إلى روح الميت وإنما يذهب إلى جماعات من المحترفين الذين تخصصوا فى الحصول على أكبر كميات من هذه المواد بالتصنع أحياناً وبالقوة غالباً .. ولو انتظر الإنسان برهة لرأى بعينيه كيف تقوم تجارة رائجة وكبيرة لكميات مذهلة من أصناف وأنواع محددة عند القبور .. كان أصحابها فى أشد الحاجة إلى ثمنها .. أو كان التصدق بثمنها حيث تجب الصدقة من ألزم وأوجب ما يجب .. إذ يعود الثواب

إلى المتصدق وقد يصل إلى الميت .. وأما كل ما نقدمه أمام القبر ونسميه خطأ بالرحمة فلا يصل إلى الميت شيء من ثوابها إذ لا تصل إلى الفقراء ولا المساكين .. إنما تصل إلى فئة احترفت الإتجار فى مثل هذه الأصناف .. والله أعلم ..

ومن البدع الشائعة إقامة مأتم الأربعين حيث تقام ليلة كليلة المأتم تقام فيها السرادقات ويجتمع الناس وتقدم عبارات العزاء .. وهذه خرافة لا يقبلها العقل ولا المنطق وبدعة لا يقرها الدين .. فالميت الذى انقضى عليه أربعون يوماً من أيام الدنيا ولا نعرف فى زمن الموت كم تبلغ ؟ .. يوماً أو بعض يوم .. أو عاماً أو بعض عام .. فهى أزمنة لا يعرفها الحى .. هذه المدة يا ترى لماذا حددت .. بأربعين يوماً لتقام ليلة كليلة المأتم .. ولماذا لا تكون ثلاثين يوماً أى بعد شهر كامل من الوفاة وتكون ذكرى لمرور شهر مثلا .. وهل هى علامة لتغير معين فى الجسد ؟ .. لقد ثبت أنه لا علاقة بهذا العدد بأى تغير يحدث فى الجسم فإن هناك قبور طبيعة أراضيها لا تساعد على سرعة تحلل الجسد .. بينما غيرها بالعكس .. وهناك موتى تنتهى حياتهم فى البحر فتأكل الأسماك أجسادهم .. وغيرهم قد يأتى الحريق على أجسامهم .. وإذا كان هذا مجرد عدد .. فلماذا لا يكون خمسين .. أو خمسة وأربعين .. فهل

ياترى هناك من الأسباب مايحدد هذا العدد ؟ فإذا تأملنا وجدنا أن المسلمين يحيون ليلة الأربعين وكذلك يحييها غير المسلمين ..فهى بذلك ليست من أصل الإسلام .. ولا من سنته .. لأنها انحدرت إلينا من المسيحيين وهؤلاء اخذوها عن غيرهم .. وإذا بحثنا وجدنا أن المسيحيين فى الخارج لا يعرفون هذا الأربعين ولا يحتفلون به ولا يقيمون فيه مأتماً .. فأصله إذا لا بد أن يكون نابعاً من هنا .. وإذا رجعنا إلى الدراسات الخاصة بالأزمنة القديمة وماقبل الأديان الثلاثة وجدنا أن الفراعنة يقيمون جناز الأربعين وأنه أصل فى احتفالاتهم بالوفاة بل هى الأصل .. والأصل الثابت .. فكان الفراعنة يحنطون الميت بمعالجة جسده بمواد مختلفة وعلى مراحل متعددة ثم تتخذ إجراءات معينة تنتهى إلى الدفن الذى كان يتم بعد أربعين يوما من الوفاة. وكان ذلك هو إحتفال الدفن .. أو جناز الدفن .. وما زال حتى الآن يطلق على الأربعين أحياناً لفظ جناز الأربعين .. وأما هذه الخطوات التى تتم فى أربعين يوماً .. فقد أوضحتها الكتب التى تبحث تواريخ الفراعنة فمثلا يقول العالم الأثرى المعروف المرحوم سليم حسن تحت عنوان الشعائر الجنازية ، فى سلسلة تاريخ الحضارة المصرية (والرأى الشائع أن التحنيط عند قدماء المصريين كان سراً لم يكتشف عنه حتى الآن هو أمر يخالف الواقع إذ أن كل المواد الأساسية معلومة لنا الآن

وقد تحدث كل من هردوت وديدور الصقلى الذى زار البلاد بعد الأول بنحو أربعة قرون . فذكر هردوت أن المصريين كانوا يستعملون ثلاث طرق مختلفة للتحنيط أولاها كانت باهظة الثمن فكان نخاع المخ يستخرج بعضه بآلة خاصه والباقى بعقاقير لم يذكر إسمها ، أما محتويات الجوف فكانت تستخرج ماعدا القلب والكليتين وبعد تنظيف الجوف بنبيذ البلح والتوابل كان يملأ بالمر وخيار شنبر وغير ذلك من المواد العطرية وكان الجزء الذى يفتح من الجسم لأجل التحنيط يخاط ثانية ثم يعالج بعد ذلك كل الجسم بالنطرون ثم يغسل ويلف فى لفائف من كتان كانت تلصق بالصمغ . أما الطريقة الثانية فكان يستعمل فيها زيت خشب الأرز الذى كان يحقن به الجسم ثم يعالج بالنطرون والطريقة الثالثة وهى أرخصها كانت للفقراء وتتلخص فى تنظيف الأحشاء البشرية ثم بعد ذلك يعالج الجسم بالنطرون . وبعد التحنيط كان يحمل المتوفى إلى القبر باحتفال يختلف فى عظمته باختلاف مكانة صاحبه الإجتماعية كما اختلفت طرق التحنيط . فالاحتفال بدفن الملك كانت له مراسم خاصة غاية فى الأبهة والعظمة أما علية القوم والطبقة المتوسطة فكان يحتفل بدفنهم فى مشهد رهيب نلخصه فيما يأتى : كان أول مايبدأ به بعد غسل الجسم وتحنيطه فى مكان خاص قريب من

الجبانة يعرف بخيمة الغسل يوضع فى تابوت من الخشب ويحمل من مكان الغسل إلى القبر وقد جرت العادة أن يعبر التابوت النيل ثم يسير الموكب فى طريقه الوعر حتى الجبانة التى تكون فى الصحراء الغربية من النيل . وتحدثنا المناظر التى تمثل دفن المتوفى على أنه كان لا بد من عدة زوراق لعبر النيل واحد يحمل تابوت الميت والصندوق الذى كان فيه أحشاؤه وأخرى لحمل تماثيل المتوفى أما سائر القوارب الأخرى فكانت لحمل المتاع الجنازى وأهل المتوفى . وعندما يصل التابوت إلى الشاطىء الغربى للنيل كان يجر على جرارة بواسطة ثيران حتى باب القبر وأخيراً كان يذبح ثور أمام القبر . وفى أثناء سير الجنازة كان الكهنة يقومون بحرق البخور أمام العربة وبترتيل الترحمات على المتوفى ، وغالباً ما كان يسبق التابوت طائفة من الراقصين يسمون (موو) يقومون برقصة دينية للمتوفى بملابس خاصة . ولما كانت مراسيم الدفن تقام على المذهب الأوزيرى فإنه كان يشاهد نادبتان إحداهما تمثل إزيس زوج أوزير والأخرى نفتيس أخته يضاف إلى ذلك أنه كان يتبع المتوفى مشيعون آخرون ينتحبون وراء تابوت المتوفى والواقع أن الاحتفالات الجنازية الحقيقية كانت تقام أمام القبر . فهناك كان يؤدى الإحتفال بفتح الفم وفتح العينين . وبعد أن تنتهى كل

هذه المراسيم والشعائر يسجى التابوت فى حجرة الدفن وتملأ البئر المؤدية إليها بالحصا والأتربة التى كانت قد تخلفت من تحتها)

ويستغرق أمر هذا التنحيط والإعداد والرحلة إلى القبر أربعين يوماً يحتفل بعدها بجناز الدفن .. وانحدرت إلينا هذه العادة الفرعونية التى تمسكنا بها وأصبحت بذلك بدعة مذمومة.. فبدلا من الاحتفال بدفن الميت بعد أربعين يوماً .. أصبحنا نحتفل بجناز الأربعين .. ولا جناز فيها ولا دفن بعدها .. فلماذا يقام هذا الإحتفال إذا ؟ .وليس هناك من دليل على صدق ذلك من أننا نرى التشابه بين صورة الإحتفال بالدفن عند الفراعنة وما كانت عليه الجنازات إلى وقت قريب. فذبح الذبيحة تحت النعش وهاته الطوائف التى كانت تسير أمام الجنازات ويلتف وسط الرجال بقطع مرزكشة من الأقمشة والتى لم يكن يعرف سرها هى امتداد لفرق الراقصين الذين يرتدون ملابس ملونة والذين كانوا يسمون (موو) .. وكذلك الأمر مع حاملى البخور وطوائف المشيعين .. إنها كلها صورة للجنازة الفرعونية .. والدليل الآخر أننا نرى الإحتفال بالأربعين مقصوراً على مجتمعنا وقد اتفقت فيه كافة الأديان بالرغم من أن كل الأديان لا تحتفل به فى غير مجتمعنا وإذا كان المنطق لا يقول بالإحتفال بهذا الأربعين بعد أن اتضح أنه

جناز الدفن ولا دفن لنا فى الأربعين .. وإذا كان العلم لا يقر الاحتفال به بعد أن ثبت أنه لا يرتبط بشىء معين يحدث فى الجسد أو للروح فإن الإسلام ينكره إنكاراً تاماً فلم يكن الإحتفال بالأربعين معروفاً فى الإسلام ولا مألوفاً ولا معمولا به .. ولم يرد عنه أى نص فى القرآن الكريم ولا فى حديث عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أى قول لصحابى ولم يتواتر عن السلف الصالح قيامهم بهذا العمل بل إن فيه مايوجب الأمر بالنهى عنه والدعوة إلى بيان خطر شأنه .. وقد سبق أن نشر فضيلة الأستاذ مفتى الديار المصرية الشيخ حسنين محمد مخلوف مايؤكد ذلك بمناسبة وفاة ولده الطالب بالجامعة إذ جاء فى جريدة الأهرام الصادرة فى ٢٧ من يوليو ١٩٤٧ وبامضاء سيادته النص الآتى (لقد ابتلانى الله بفقد الولد فصبرت وإقتطع منى فلذة الكبد فما تبرمت . فله الحمد على نعمة الرضا بالقضاء . ومنه وحده المثوبة وعظيم الجزاء . وقد تساءل أصدقائى عن ليلة الأربعين فأخبرتهم أن إحياءها على النحو المتبع بدعة مذمومة لا أصل لها فى الدين . وأنى مكتف فيها وفى غيرها من الأيام بما بينى وبين ربى من عمل يرجى ثوابه بمشيئته لمن أفتقدته . ولهم منى مع عظيم الشكر أطيب التمنيات .) . وعلى أثر هذا النشر وردت اسئلة عن أحكام الشريعة الغراء فى المآتم والأربعين

فصدرت الفتوى الشرعية المسجلة برقم ٣٧٧ بتاريخ ١٤ أغسطس ١٩٤٧ بدار الإفتاء تحت عنوان (إقامة مأتم الأربعين بدعة مذمومة) ونصها (يحرص كثير من الناس الآن على إقامة مأتم ليلة الأربعين لا يختلف عن مأتم يوم الوفاة فيعلنون عنه فى الصحف ويقيمون له السرادقات ويحضرون القراء وينحرون الذبائح . ويفد المعزون فيشكر منهم من حضر ويلام من تخلف ولم يعتذر . ويقيم السيدات بجانب ذلك مأتما آخر فى ضحوة النهار للنحيب والبكاء وتجديد الأسى والعزاء .

ولا سند لشىء من ذلك فى الشريعة الغراء فلم يكن من هدى النبوه ولا من عمل الصحابة ولا من المأثور عن التابعين ، بل لم يكن معروفاً عندنا إلى عهد غير بعيد . وإنما هو أمر استحدث أخيراً إبتداعاً لا إتباعاً . وفيه من المضار مايوجب النهى عنه .

فيه التزام عمل ممن يقتدى بهم وغيرهم ظاهره أنه قربة وبر حتى إستقر فى أذهان العامة أنه من المشروع فى الدين .

وفيه إضاعة الأموال فى غير وجهها المشروع فى حين أن الميت كثيراً ما يكون عليه ديون أو حقوق لله تعالى أو للعباد لا تتسع موارده للوفاء بها مع تكاليف هذا المأتم . وقد يكون الورثة فى أشد الحاجة إلى هذه الأموال ومع هذا يقيمون مأتم الأربعين استحياء من الناس

ودفعاً للنقد وكثيراً ما يكون فى الورثة قصر يلحقهم الضرر بتبديد أموالهم فى هذه البدعة . وفيه مع ذلك تكرار العزاء وهو غير مشروع لحديث (التعزية مرة) .

لهذا وغيره من المفاسد الدينيه والدنيوية أهبنا بالمسلمين أن يقلعوا عن هذه العادة الذميمة التى لا ينال الميت منها رحمة أو مثوبة . بل لا ينال الحى منها سوى المضرة إذا كان القصد مجرد التفاخر والسمعة أو رفع الملامة والمعرة . وأن يعلموا أنه لا أصل لها فى الدين قال تعالى (وَمَا أتاكُم الرَّسُول فَخُذُوه وَمَا نهاكُم عنهُ فانتَهوا) .

ومن العادات والبدع التى يجب على الإنسان أن يعيد النظر فيها وأن يتخذ بشأنها القرار الصائب والأمر الحكيم .. مايقوم به البعض من توزيع أصناف معينة من الحلوى فى أوقات معلومة بعد الموت ويطلق عليها إسم الرحمة .. فإن لم توزع أصاب الميت فى قبره ما يصيبه على حد قول هؤلاء الذين يشيعونه .. فياترى ماذا يقول العقل والمنطق فى ذلك وما رأى الدين فيه ؟ وما هى ياترى وسائل وسبل الرحمة للميت .. وهل يصل إلى الميت شىء من سعى الحى ؟

لا شك فى أنه ليس للإنسان إلا ما سعى وذلك بنص قول القرآن الكريم « وَأَن لَيسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى . وَأَنَّ سَعَيهُ

سوفَ يُرى . ثمَّ يُجزاهُ الجزاءَ الأوفى » وأن الميت فى ظل عمله وإنما سيجازى عليه بالنص الكريم « فاليومَ لاَ تُظلَمُ نفسٌ شيئاً ولاَ تجزونَ إلاَّ ما كنتم تعملونَ » . . ومهما يكن قدر هذا العمل خيراً أو شراً فلابد من الجزاء عليه بنص الآية الشريفة : فمن يعمل مثقالَ ذرَّةٍ خيراً يرَهُ . ومن يعمل مثقالَ ذرَّةٍ شراً يرَهُ » . . ولن يحاسب على عمل غيره بالنص الكريم « كُلُّ نفسٍ بما كسبَت رهينَة » ولن يجزى إنسان عن غيره ولن تدفع نفس عن غيرها بنص الآية الشريفة : « واتَّقُوا يوْماً لاَ تجزى نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ولاَ يقبَلُ منها شفاعَةٌ ولاَ يؤخَذُ منها عدلٌ ولاَ هم يُنصَرُونَ » . . ولن تملك نفس لنفس شيئاً وذلك بنص الآية الكريمة : « يوْمَ لاَ تملِكُ نفسٌ لنفسٍ شيئاً والأمرُ يوْمئذٍ لله » . . وما الحياة الدنيا إلا مزرعة الآخرة . . ولكل ما زرع فيها . . وفى الآخرة ترى ماذا يحصد الإنسان ؟ . . هل يحصد غير ما زرع ؟ . . فإذا انتهت حياة الإنسان فى الدنيا . . وانتهى بذلك عمله فيها فليس له إلا ما قد سبق وسيبدأ حياته الجديدة فى الدار الآخرة مستأنفاً ما كان عليه عمله .

وأما ماينفع المرء بعد موته . . وماقد يصل إليه من سعى الأحياء

فقد كان ذلك موضع اجتهاد الفقهاء وبحث العلماء وأختلفت فيه الآراء .

فمذهب الحنابلة يقول إن الميت ينتفع بجميع العبادات البدنية من الصلاة والصوم والحج عنه وقراءة القرآن تطوعاً بلا أجر إذ قال العلماء إن القارىء إذا قرأ لأجل المال فلا ثواب له فأى شىء يهديه إلى الميت؟ كما ينتفع الميت بالعبادات المالية من الصدقة ونحوها وكما لو دعى له وأستغفر له .

وأما مذهب الشافعية فيقول أن الذى يصل ثوابه إلى الميت الدعاء والاستغفار والصدقة والواجب الذى يقبل النيابة كالحج وما عدا ذلك أى العبادات البدنية المحضة ومنها قراءة القرآن فلا يصل ثوابها إلى الميت .

ومذهب المالكية يقول إن الصدقة والدعاء وما يقبل فيه النيابة عن الغير يصل ثوابه إلى الميت بخلاف الصلاة والصوم فإنه لا تقبل فيها النيابة وأما الحج فيجوز مع الكراهة .

وأما مذهب الحنفية فإنه يقول أن كل من أتى بعبادة سواء أكانت صلاة أو صوما أو صدقة أو قراءة قرآن أو الحج أو غير ذلك من أنواع البر وجعل ثوابها لغيره من الأحياء أو الأموات وصل ثوابها إليه.

ومن ذلك يتضح أن مختلف المذاهب لم تتفق فيما يصل ثوابه إلى الميت إلا على الصدقة وما تجوز الإنابة فيه من العبادات وهو الحج والدعاء

وإذا تدبرنا فى كل الأمور ودرسنا كيف يمكن أن تؤدى هذه الأعمال إلى نفع الميت وعن أى طريق لأمكننا أن نصل إلى مايجب أن نفعله مع أمواتنا ومايجب أن نفعله نحن قبل موتنا حتى يستمر النفع بعد الموت لهم ولنا.

فالصدقة من الأمور الواجبة الأداء والتى أمرنا بها الله سبحانه وتعالى وجعل لها نصيباً مفروضاً على أموال المسلمين تؤخذ منهم بنص الآية الشريفة « خُذ مِن أَموالِهِم صَدَقَةً تُطَهِرُهُم وَتُزَكِيهِم بِهاَ » .. ومن توقف عن الدفع وجب تحصيلها منه ومن امتنع فهو فى النار مع المشركين بالنص الشريف : « وَوَيلٌ لِلمُشرِكِينَ الَّذينَ لاَ يُؤتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُم كَافِرونَ » وبشر المتصدقين بخير كثير بعد الموت لا يعلمه الإنسان الحى وذلك بالنص الكريم « وَأَن تَصدَّقُوا خَيرٌ لَكُم إن كُنتُم تَعلَمُونَ » .

فهل ياترى إذا مات الإنسان ولم يدفع ماوجب عليه دفعه قصدا وعمدا .. ودفعه عنه غيره بعد موته .. أيكون للميت ثوابه ؟ . وقد دفع عنه قسراً .. وأدى عنه قهرا .. أم ترى الثواب يكون لمن دفع ؟ .

بصرف النظر عن صاحب المــال الذى لم يرد الدفع .. ولم يشأ السداد وهل يزحزح هذا الدفع العاصى من النار ؟ .. وليس له فيما دفع فضل أى فضل . ؟ .

وهل يكون شأنه شأن من لم يدفع لسبب ما .. ثم أوصى قبل موته بأن يدفع عنه حق الله مما ترك ؟ .

وماذا يــكون اذاً شأن من دفع فى حياته حق الله . . ثم ترك مايستمر به أمر الصدقة فأصبحت صدقة جارية ؟

وهل لمصدر مال الصدقة دخل فى الثواب.. حلالا كان جمعه أم من حرام .. ونوع وصنف الصدقة أمن الطيب أم من الخبيث إذ يقول الله جل شأنه : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ » .. ثم إلى أين ذهبت الصدقة ..؟.. إلى من يستحقها ..أم إلى من لايستحق ؟.. فتكون افتخاراً وتصبح إسرافاً ..

فالصدقة التى ينتفع بها الميت .. ويصل إليه ثوابها هى ما كانت صادرة عن وصيته .. محققة لرغبته .. مؤدية من ماله .. بل من حلال ماله . . فاذا لم يــكن لديه مال . . فأخرجها غيره له تطوعاً منه وتحقيقاً

لظنه بأنها رغبة للميت حتى ولو لم يصرح بها .. عاد ثوابها إليه على أن تؤدى هذه الصدقات فيما تعود به من خير إلى من يستحق الصدقة فعلا . أيا كان .. الخير .. وأيا كانت صورته ..

وكذلك الصدقة التى قام بها الميت فى حياته ويستمر أثرها بعده فقد يتصدق الإنسان فى حياته بعلاج مريض .. يكون فيه الشفاء .. فطالما هذا المريض يعيش بعد شفائه ويفعل خيراً يستفيد به غيره فالمتصدق الذى عالجه .. له على هذا الخير ثواب .. وكذلك إذا ما أنجب هذا الشخص بعد شفائه ذرية صالحة فكل عمل صالح يعملونه ... بديهى أن يعود على المتصدق الأصلى ثواب عمله .. ويستمر هذا الثواب .. قائماً .. تتعاقب أسبابه .. وتصل حلقاته .. إلى ماشاء الله ..

وقد يزرع الإنسان شجرة فى طريق عام .. وقد قصد بها الصدقة الجارية. ففى كل عابر أكل من ثمرتها .. وفى كل حيوان أكل من ورقها .. وفى كل من استظل بظلها .. وفى كل من استفاد من زرعها حتى ولو كان يهتدى بها إلى الطريق .. فى كل صدقة .. وليس ذلك فقط .. فقد يكون فيها التضاعف والإستمرار .. حتى بعد أن تنتهى الشجرة .. وتزال من الوجود .. فقد يجتمع تحت ظلها سائل ومسئول .. أو لأكل ثمارها .. ضال .. ومهتد .. فينتج من ذلك العلم لجاهل .. أو

الهدى للضال .. وكل عمل من الخير يقوم به الجاهل بعد أن تعلم والضال.. بعد أن اهتدى.. لمن زرع الشجرة التي تحتها اهتدى الضال أو تعلم الجاهل .. صدقة .. وله من هذا العمل الثواب .. وبديهى كل من نتج من ذريتهم الصالحة وقامت بالعمل الصالح فإن الثواب يتضاعف والأجر يستمر .. وهكذا .. وتكون الشجرة قد زالت من الوجود منذ أزمنة بعيدة ويكون من تصدق بزرعها قدمات منذ آماد سحيقه..

والصدقة تكون لعلاج مريض .. أفضل من زيادة الكساء .. أو مزيد من الغذاء .. ولتعليم يتيم .. أفضل من إعطاء سائل قد لا يكون في الحقيقة محتاجاً .. ولستر عورة أرملة .. أو السعى على يتيمة..أفضل من الإنفاق على محترفى الأخذ فى الطرقات أو عند القبور .. فكم من بيوت تضم من هم أشد حاجة من السائلين .. ولا يمنعهم من السؤال إلى عزة النفس .. أو الخوف على العرض.. أو بقايا عز قديم ..

هذه بعض الكلمات عن الصدقة .. ويمكن للانسان لو تدبر وتفكر وبحث وتأمل .. أن يعرف ماهى الصدقة التي يصل ثوابها إلى الميت .. وماشروطها .. وهل ينفع الميت إلا بما كان قد تسبب إليه في حياته ؟.

وأما الدعاء للميت فقد ورد فى القرآن الكريم أن سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم دعا لوالديه وللمؤمنين بالنص الكريم : « رَبَّنَا اغفِر لِي وَلِوَالِدَىَّ وَلِلمُؤمِنِينَ يَومَ يَقُومُ الحِسَابُ » . . كما أن الدعاء لمن سبقوا كان عمل الصالحين وذلك بنص الآية الشريفة : « وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعدِهِم يَقُولُونَ رَبَّنَا اغفِر لَنَا وَلِإخوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجعَل فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ » فهل ياترى كل دعاء مستجاب ؟ . . أم ترى لابد من توافر أركان معينة . . وشروط محددة .. فى الداعى .. ومن يدعو له .. وفى الدعاء .. ؟ .. فهل الدعاء للكافر مثلا يستجاب .. ؟ .. والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه ورسوله الكريم فى محكم آياته الشريفة : « استَغفِر لَهُم أَولاَ تَستَغفِر لَهُم إن تَستَغفِر لَهُم سَبعِينَ مَرَّةً فَلن يَغفِر اللهُ لَهُم ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ واللهُ لاَ يَهدِي القَومَ الفَاسِقِينَ » . . فهل بعد استغفار النبي ودعائه .. من استغفار ودعاء .. والدعاء للسارق والقاتل والزانى وكل من أذنب ومات وهو مصر على ذنب .. ولم يتب عنه توبة نصوحا هل يستجاب ؟ .. وإذا كان الظالم لا يفديه من عذاب يوم القيامة ما فى الأرض جميعاً بل

ومثله كذلك .. فهل يفديه الدعاء ويخفف عنه الاستغفار ؟ . ويقول الله جل شأنه « وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوا بِهِ مِنْ سُوءِ العَذَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ . وَبَدَا لَهُم سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » إنما الدعاء يجب أن يكون من علامات العمل الصالح الذى قام به الميت قبل موته .. فالإنسان الذى أقام مسجداً مثلا فى حياته ليتقرب بذلك إلى الله . . كلما دعا المصلون له كانت دعوتهم مستجابة إن شاء الله .. إذ أن هذا الدعاء إنما هو شهادة الخلق على ماقام به الإنسان من صالح الأعمال فى حياته .. وهذا الذى أنقذ عائلة مما يصاب الناس به فيفقدون قدرتهم على السعى .. كالفقر أو المرض أو البطالة .. كلما تذكر هؤلاء جميل صنع من أجرى الله الخير على يديه ودعوا الله مخلصين له الدعاء بالرحمة والمثوبة .. كانت الفرصة للإستجابة أكبر ...

وأفضل الدعاء .. هو دعاء الولد الصالح لأبويه . . فإن صلاح الولد إنما هو علامة صلاح أبويه .. فالله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يحسن جزاء الإنسان فى الدنيا أصلح له ذريته . . ودعاء الولد لأبويه إنما يحمل معنى إعتراف الولد على أن أبويه قد أحسنا تربيته .. وأجملا

نشأته .. وأنهما لا بد قد أتقيا الله فيه .. فمن يتقى الله فى أولاده .. لا يحاول أن يطعمهم من حرام . ولا يحاول أن يظلم غيره أو يجور على حق دون حقه .. ومن أراد أن يكون ولده صالحاً .. فلابدأن يحافظ على طهارة بيته حيث ينشأ .. وعلى نظافة عيشه حيث يتربى .. ولا يدخل عليه الحرام أيا كان شكل الحرام أودرجته .. وعندما ينشأ الولد هكذا صالحاً . قد عرف الله .. ولزم حدوده . . فإنه يبر والديه ولا يقطع بره لهما بعد موتهما .. بدعائه لهما إذ أنه لا بد سيطيع الله الذى يأمره بالدعاء لهما بنص الآية الكريمة (وقل رَّبِّ ارحَمهُمَا كَمَا رَبَّيانى صَغيراً) .. وعلى هدى هذه الآية الكريمة تحدث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما قاله عندما جاءه رجل من بنى سلمة فقال : يارسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما) ..فدعاء الولد لأبويه بعد موتهما أمر واجب .. وهو مقبول لأن الله أمر به .. ومن شعر بالتقصير فى حق أبويه .. فعليه بالاستزادة من الدعاء لهما . . فالدعاء من الولد لأبويه بعد موتهما إنما يصل ثوابه إليهما ..

ومما ينتفع به الميت بعد موته .. ما تركه للناس من علم يتعلمونه فينتفعون به .. فى دنياهم .. أو فى آخرتهم .. والعلم بديهى إنما هو من الأمور المتداولة .. التى تتداول بين الناس فى حياتهم .. وتنتقل إلى غيرهم بعد موتهم .. فكأن النفع بالعلم إنمـا هو أمر مستمر .. لا ينقطع بموت صاحب العلم .. والشبيه بالعلم فى ذلك .. العمل الذى يقوم به الإنسان ويكون به إماما للناس يتناقلونه عنه ويؤدونه كمثله .. وكل عمل جليل قام به الإنسان فى حياته فله عليه الأجر .. وكل من عمل به من بعده .. له ولمن بدأ كذلك .. وذلك بنص القرآن الكريم فى الآية الشريفة « مَّن يَشفَع شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِنهَا وَمَن يَشفَع شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفلٌ مِنهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىءٍ مُّقِيتاً » .. وفى ذلك يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سن فى الإسلام سنه حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء .. ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء) .. فالعمل الحسن كالعلم النافع .. ينال به الإنسان الثواب بعد موته .. طالما هو متداول مستمر بين الناس ولو إستمر إلى يوم القيامة .

وقد أجمل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما ينتفع به الميت بعد موته فى حديثه الشريف الذى نصه (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) . أى لا يصل إليه من عمل الدنيا سوى ماحدث به صلى الله عليه وسلم .

وهكذا فإنه ليس للميت إلا عمله فى حياته .. ومن هذه الأعمال ماينتهى أجره منها بموته .. ومنها مايستمر ثوابه عليها بعد مماته .. ومن هذه .. الصدقة الجارية .. طالما هى تدور .. والعلم النافع .. أو العمل الحسن طالما يستفاد به .. والولد الصالح كلما يدعو له ..

فليتدبر كل منا ذلك القول .. ويفكر فيه .. لنرى البعد الشاسع بينه وبين شد الرحال إلى القبور فى أيام معينة ومواسم محددة ... لتوزيع الفطائر والفاكهة على اعتقاد باطل بأنها رحمة للميت تخفف من ذنوبه وتزيد من حسناته وما هى كذلك يقيناً ..

فليستعد كل منا إذا فى حياته وقبل مماته . . أن يحسن عمله . . ويضاعف جهده .. وليحاول قدر طاقته أن يترك ماينتفع به بعد موته بأن يربط من ماله صدقة جارية تدور من بعده .. أو يجتهد فى

علم ينتفع به ..أو يأمر بمعروف أو ينه عن منكر يكون قد مر على غيره أو ألتبس أمره .. أو يحسن تربية ولده ليدعو له .. فإنما هى أعمالنا . وكل نفس بما كسبت ستجازى .. ولن تجازى بأعمال غيرها . .فهذا هو الحق والعدل فى يوم لا ظلم فيه .

وصدق الله العظيم الذى يقول

« اليوْمَ تُجزَى كُلُّ نفسٍ بِمَا كَسبَتْ لاَ ظُلمَ اليَوْمَ إِنَّ اللهَ سَريعُ الحِسَابِ » .

وبعد ....

فهذه هى الصفحات التى كانت متناثرة قد جمعت . . وهذه هى الآراء التى قال بها العلماء قد عرضت . .

وأما ما أوردته آيات القرآن الكريم فهو القول الفصل ولايحتاج أمره إلى دليل أو تأكيد أو تكرار القول . .

فلنتدبر القول . . ولنتفكر فى الأمر . . ولنستعرض الرأى . . فعسى أن نتحرر بذلك من خوف الموت . . وما أرعبه من خوف . .

ولعل يكون فى هذه الصفحات العزاء كل العزاء . . لكل إنسان . . فما من قلب إلا وفيه على غياب حبيب ندبة من حزن دفين وما من نفس إلا بها من لوعة الفراق شجن وأنين . . وما من عين إلا وهطلت بالدمع عند الموت مهما يكن دمعها الضنين . .

فقد اتفق العلم والدين على حقائق ثابتة مؤكدة لا تحتاج إلى مزيد من التعليق أو الإيضاح . . فروح الإنسان خالدة .. لأنها من الله جل شأنه . . سبحانه وتعالى الخالد الذى لا يموت . . وانتقال الإنسان من الحياة الدنيا إنما يتم بسهولة ويسر رحمة من الله الرحمن الرحيم . . ويبدأ الإنسان بهذا الانتقال حياة أخرى أوسع أفقاً . . وأرحب مكاناً . . وأعلى شأناً . . وأعظم درجة من الحياة الدنيا . . يستطيع

فيها أن يكون سعيداً .. مع أحبائه وأهله .. ويمكنه أن يرتقي بأسرع ما يمكن إلى حيث يصل إلى قمة السعادة .. وتمام النور.

ولا يحتاج الأمر إلى شيء عسير .. أو عمل خطير .. أو مجهود كبير ..

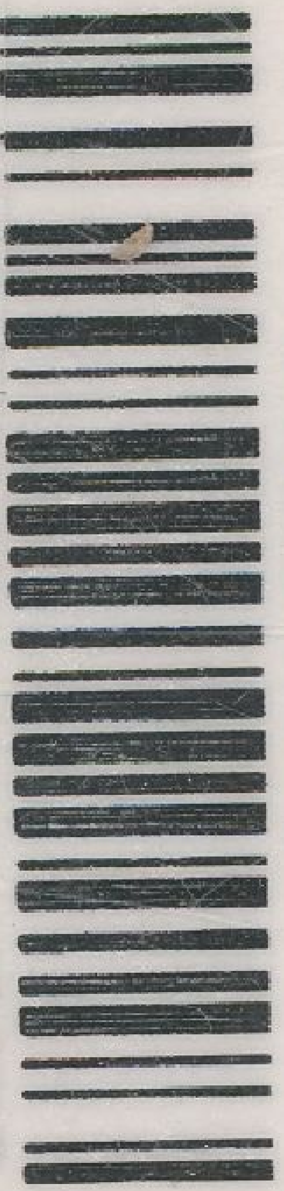
الإيمان بالله .. والعمل الصالح ..

فما أيسر الأمر .. إذاً .. وما أسهل الطريق ..

أليس الله هو القائل : « وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَد عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ العُلَى » .

« صدق الله العظيم »

المطبعة الفنية الحديثة
٢٠ شارع الأصبغ بالزيتون ت ٨٦٤٨٧١





الثمن ٢